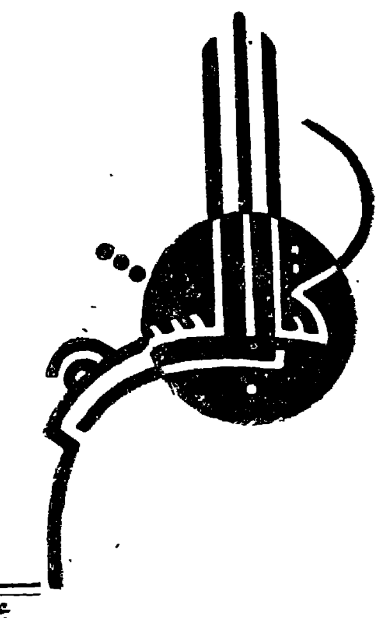

كمال اتاتورك
كتاب الشهر
شريف



أتاتورك

محمد صبيح

ملتزمو الطبع والنشر أصحاب
دار إحياء الكتب العربية
عيسى البابي الحلبي وشركاه

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

— ١ —

منذ خمسة أعوام وشهور ، كانت الفوضية التركية بالقاهرة تحتفل بعيد الجمهورية التركية ، وكان من بين كبار المصريين الذين حضروا الحفل سعادة عبد الرحمن بك عزام وزير مصر السابق فى أنقرة ، وقد ألقى كلمة طيبة نيابة عن الحكومة المصرية حيا فيها تركيا ، وعيدها ، و بطل الأتراك . ونشر ملخص لكلمة فى الصحف السيارة ، فثارت ثائرة بعض الشبان المصريين المشتغلين بالشئون الدينية ، وراحوا يهاجمون عزام بك مهاجمة عنيفة ، لأنه أشاد بالزعيم التركى ، وهو — فى رأيهم — من أهم

العوامل التي هدمت معالم الإسلام في الشرق الأوسط ، وأشاعت فيه مفاسد الغرب !!..

ودعا عزام بك هؤلاء الشبان لمقابلته ، وأخبرهم في لين ورفق أنه لم يقصد أن يعلن على الإسلام حربا ، ولا أن يعقد مع الفساد حلفا ، ولكنه أراد أن يحيي أمة ناهضة ، وأن يحيي قائد هذه النهضة ، ولا يمكن أن يفهم من كلمته أنه يدعو إلى ترك أوامر الدين واتباع محرماته ، بل لقد كان دأبه وهو في تركيا أن يحاج رجالها في كل ما كان يراه مخالفا للاسلام ، وكان يلقى منهم قبولا وترحيبا .

وكان عزام بك في حديثه مع هؤلاء الشبان واسع الصدر ، فسمع منهم قولا غليظا ، ورد عليهم في اناه وحلم . وكان أحد زواره يتتبع هذا الحوار ، وهو مسلم محافظ من ذوي الفضل والمكانة ، فدعي لابداء رأيه فقال : « انه يعتقد أن أعظم رجل خدم الاسلام في العصر الحديث هو كمال أتاتورك . ويرى أن مكانتـه عند الله ستكون أعلى درجة من كثيرين من المسلمين يطيلون لحاهم ، ويكثرون من الركوع والسجود ، ويرددون الأوراد والإذكار بالليل والنهار » .ففغر الشبان أفواههم دهشة ،

وفوجئوا بما لم يكن فى حسابهم ، واستأنف الزائر الفاضل حديثه قائلا :

« حسب مصطفى كمال فضلا عند الله وعند الناس أنه خلص أمة مسلمة من ذل الاستعباد .. حسبه أنه أعتق رقاب ثمانية عشر مليونا من المسلمين ، كانت العدة قد أعدت لكى يسلكوا فى سلاسل الرق والاستعمار . فاصبحوا بفضل جهاده ، و بفضل المخاطر المهلكة التى تعرض لها هو وأصحابه ، سادة أحرارا ، يحيون حياتهم كما يريدون ، لا كما يريد لهم عدو يتسلط عليهم »

وصواب هذا الذى ذكره الزائر فى حواره مع المتحمسين المتزمتين ، وهو يمثل حقيقة أخطأتها النظرة القصيرة ، والحساب المرتجل الذى يسمح باهمال حسنات عظيمة القيمة ، والتمسك بهفوات صغيرة تأبى عجلة الحياة الدوارة أن تقف عندها أو تكترث لها .

ولقد انقضى حكم أتاتورك ، بانقضاء أيامه فى هذه الدنيا . وكنا كتبنا طرفا من سيرته من سبع سنين . وحسبنا بعض الناس تأثرنا بالضجة التى تصحب كل حى من الحاكمين . ولكننا — وقد سكنت الضجة — لانزال عند رأينا فى بطولة هذا الزعيم لم تزده الأيام إلا ثباتا .

وليس أعدل من النتائج وحكمها ، ولا أصدق من الحقائق ومنطقها . فلو أن البناء الذى شيده « أبو الترك » فى العصر الحديث ، كان قائماً فوق الرمال ، ثم هبت عليه هذه العواصف والأعاصير التى اجتاحت الدنيا بأسرها فى سنوات الحرب الحاضرة، إذن لانهار البناء ، ودمر تدميرا . ولكن ماذا نرى ؟ . . نرى تركيا الكمالية حوصرت بالحرب من الشمال والجنوب ، ومن الشرق والغرب . وزأرت الدبابات والمدافع والطائرات والبوارج على حدودها فى الأرض والسماء والماء ؛ فعصمتها سياستها الرشيدة الحكيمة من أن تزل أو تنزلق بها القدم فتهوى فى السعير المتقد. وما رشد هذه السياسة ، وما حكمتها ، إلا كلمات قالها أتاتورك ، وحفرها فى أذهان قومه ووجدانهم ، وهى أن تعيش بلاده فى فى داخل أرضها للترك ، ولكل الترك ، ولاشىء غير الترك . فما دامت أرضها تتسع لسكانها ولثلاثة اضعافهم ، وما دامت ثروتها تكفى لاطعامهم فلا داعى للطمع فى أرض الغير ، ولا جدوى فى التماس المغانم من قريب أو بعيد . ولتعتصم تركيا بالسلم ، ولكن سلم الكرام الذين يعرفون كيف يمنعون جانبهم ، ويذودون عن أرضهم إذا اعتدى عليها . .

لهذه الغاية عاش أتاتورك ، وعليها نشأ جيل الساسة الذين

تركهم فى الحكم ، وهى هى التى راعاها صفيه وخليفته الرئيس عصمت أينونو . .

ولا يحسبن أحد أنه كان من اليسير على أتاتورك أن يروض شعبه على هذه الخطة ، وأن يلزمه بها . فقد عاشت تركيا العثمانية تحت ظل الخلافة اكثر من ٤٠٠ سنة ، ولواؤها ممدود على رقعة فسيحة من الأرض اقتطعت أجزاؤها الكبيرة من أوربا وآسيا وافريقيا وعاش الاتراك جيلا بعد جيل وهم يتمتعون بالسيادة على اليونان ، والبانيا ، ويوغوسلافيا ، وبلغاريا ، ورومانيا ، وكريت ، وقبرص ، والقوقاز ، والعراق ، والشام ، وفلسطين والحجاز ، ونجد ، واليمن ، وامارات الخليج الفارسى ، ومصر والسودان ، وبرقه ، وطرابلس ، وتونس ، والجزائر ، ومراكش الخ . . وأخذت هذه الامبراطورية العظيمة تتضاءل وتتقلص . ومع هذا شهد القرن الحالى سيادة الترك على أجزاء عظيمة منها . والجيل الذى عاش فيه مصطفى كمال ومدرسته ، كان يرى رايات العثمانيين ترتفع على الساحل الجنوبى للبحر المتوسط ، والبحر الأحمر كله ، والخليج الفارسى . ثم رأى أوربا تنازعهم السلطان على هذه الأجزاء كلها . رأوا مصر تنسلخ عمليا ، ورأوا طرابلس

تهوى بدورها ، وكان البلقان يغلى ثم تفجرت مراجله بالثورات المتلاحقة . وجاء دور الحجاز واليمن وبلاد الشام . وكان أنور ومصطفى كمال، وجمال، و نيازى يلهثون ركضا من طرابلس إلى جبهة البلغار ، إلى سوريا والحجاز ، إلى القوقاز عسى أن يتمكنوا من سد هذه الفتوق ، ولكن الاعياء نالهم ، وسقطوا خائرى القوى ورأوا أحلام الجامعة الطورانية تتضاءل وتضيع هباء فى الهواء .

وزاد الخطب استفحالا ، فقد أريد للمغلوب أن يتجرع الكأس حتى الثمالة ، فانتشرت جنود الحلفاء بعد الحرب الماضية على سواحل تركيا نفسها تطبق معاهدة الصلح ، وإذا اليونانيون فى أزمير يضربون فى الأناضول ، والاستانة فى يد الانجليز والفرنسيين .. وبدأت حركة الاستقلال ، فلما ظفر فيها أتاتورك وجنوده ، لم يستخفهم النصر ، أو بالقليـــل لم يستخف قائد الاستقلال ، لكى يحاول اعادة الامبراطورية القديمة ، بل جلس وراء الحدود ، وراح يفكر ويقدر ..

سأل نفسه عما استفادت تركيا من حكمها الطويل لهذه الامبراطورية العظيمة ؟ ! لقد ظلت جنود آل عثمان تضرب فى أحشاء أوربا الوسطى ، وتحصد عداوات الشعوب قرنا بعد قرن

وتحتمل من التضحيات ما لاسبيل إلى حصره ، ومع هذا لم تستطع أن تجعل من البلغار تركا خلصا ، ولا من الأفلاق والبغدان أولياء صالحين ، ولا من البوسنة والهرسك أعوانا طيبين ، ولا من الاغريق حتى مسلمين ! !

لا .. لم يفد الأتراك من امبراطوريتهم غير العناء ، وغير الدمار ، وما كان يصلح مقياسا للعظمة في القرون الوسطى ، لايصح أن يظل كما هو في العصر الحديث . . انما آية الحياة الصحيحة السعيدة لشعب من الشعوب أن يعيش مستقلا في أرضه لايبغي عليه أحد ، ولا يبغي هو على أحد ، وأن يتمتع أفراده بالرخاء المادى والمعنوى ... ورقعة الأرض التركية ليست ضيقة ولا هي بالضنينه على أهلها بالخير . فمساحتها (٧٦٠٫٢٠٠ ك . م مربع) تزيد على مساحة المانيا ، بل تعادل مساحة المانيا وايطاليا معا . وتزيد على مساحة انجلترا خمس مرات . وتوجد في الدنيا بلاد مثل الدانمرك وسويسرا ، لاتستعمر ، ولا تعيش على الفتح والغلب ، وهي لاتتجاوز في مساحتها ركنا صغيرا من أركان تركيا ومع هذا تعيش عيشة رخية كريمة ...

وإذن فلتعش تركيا في تركيا ، ولتركيا . وعفاء على

الامبراطورية ، وعلى آل عثمان [1] وعلى شعارهم فى الحياة

● ● ●

ولقد حاول المعلقون على الحرب الحاضرة من رواد القهاوي ، واجلاس النوادى ، أن يتكهنوا — فى كل أزمة من الأزمات — وأن يميلوا بتركيا وجندها إلى هذا الميدان أو ذاك . يمنون تركيا بالأمانى . فلو أنها حاربت مع المحور ، فستعود إليها البلقان والقوقاز وتصبح سيدة البحر الأسود .!!

ولو أنها حاربت المحور فسيكون من نصيبها الشرق العربى أو بالقليل بلاد الشام !! وما صدق هؤلاء . لأنهم جهلوا أو تجاهلوا السطر الأول فى كتاب السياسة الخارجية لمدرسة أتاتورك التى حكمت تركيا ، وما تزال تحكمها .

---

(١) كانت تركيا العثمانية تؤدى للعالم الاسلامى خدمة جليلة ، فقد ظلت خمسة قرون تتولى الدفاع عنه فى الخط الأمامى ضد الغارات الأوربية — التى تشبه الغارات الصليبية القديمة — وكان هذا الخط يمتد من شمال القوقاز على سواحل البحر الاسود ثم يدور نصف دائرة عظيمة حتى يكمله شاطىء البحر الادرياتيكى الشرقى . ولو لم تكن جند العثمانيين واقفة فى هذا الخط وقفة صلبة عنيدة ، لاجتاحت جنود أوربا الوسطى الشرق الأوسط كله ، ولحققت أحلام رتشارد ولويس ، ولاحتاج الشرق الأوسط إلى « صلاح الدين » مرة أخرى ليرد هذه الغارة .

وهذه السياسة الواضحة المعالم ، التى عصمت هذه البلاد من اخطاء واخطار لاشك فيها هى التى تحملنا على أن نرفض الدلالة الغربية لما صرح به « ستالين » ، من أن القطار فات تركيا ، ولم تستطع اللحاق به ، تعليقا منه على قطع علاقاتها مع المحور . فلو أن تركيا كانت تريد أن تركب قطارا ، لما عز عليها ذلك ، وكان جند هتلر يقفون على حدودها ، وكان « فون بابن » فى عاصمتها يمنيها بطيب الأمانى ان شاركت المحور فى حربه . ولكنها رفضت إلا أن تظل ساهرة على هذه الحدود تحرسها من الجميع. ومن يدرى ؟ فلو أن تركيا فتحت ذراعيها لفرق البانزر ، ونقلتهم عبر أرضها إلى جبال طوروس ، اذن لمال ميزان الحرب ، ولضغط الشرق الأوسط بين هذه القوة ، وبين قوات روميل فى الصحراء الافريقية ، ضغطا قد لا يثبت له ، وقد يغير مجرى الحرب تماما . ولكن شيئا من هذا لم يحدث ، وبلاد الشرق العربى تعرف هذا لتركيا، بل تعرفه لهذه الخطة السليمة القوية التى رسمها أبو الترك وقائد نهضهم الأول .

لم يفت تركيا قطار ، لسبب واضح بسيط ، وهو أنها لم تكن واقفة باحدى المحطات تنتظر قطارا ..

وكل ما كانت تريده تركيا ، وما تزال ، هو أن تحافظ على كيانها ، وأن تفهم جيرانها جميعا أن أمنها فى أن يسود السلم بلاد البلقان مرة أخرى ، وأن تتأكد تركيا من أن أحلام روسيا القديمة فى السيطرة على الدردنيل لا تزال أحلاما . وأن من الخير الالتجاء إلى المعاهدات الحالية ، أو ما يشبهها لكى تتصل روسيا بحريا بالبحار « الدافئة » . هذه هى المشكلة الوحيدة التى تجابه الترك الآن . وعسى ألا تنسى الروس انتصاراتهم الكبيرة أن تركيا ليست وحدها التى تريد المحافظة على معاهدات المضايق ، ولكن بلاد الشرق الأوسط ، والدول الديمقراطية التى تشعبت مصالحها فى هذه الاصقاع ترى فى سيطرة الروس على المضايق خطرا جسيما . وتركيا واجدة من غير شك أنصارا ذوى حمية وحماسة فى وقفتها وهى تحرس طريق المضايق من أى عدوان . ذلك أننا هنا فى هذا الركن من الدنيا لا نريد تجارب جديدة لحياتنا ، وحسبنا ما نحن فيه من متاعب . ولم يخدع أحد فى طبيعة الحرب الروسية الأوربية ، فيحسب أنها من صنع مذهب الشيوعية .. لا ، وإنما سارت هذه الحرب بهذا النجاح العجيب لأن وراءها رجالا قادرين، على رأسهم ستالين ، الذى وصفه تشرشل بحق أنه : ستالين العظيم Stalin the Great ووقع هذه التسمية فى الأذن يشبه وقع اسم

« اسكندر الأكبر » ، « وبطرس الأكبر » ، وغيرهما من كبار الغزاة ، لا كبار الهداة ..

نحن نريد أن نعيش حياتنا كما نريدها ، ونريد أن نتطور بها ونعلو على طراز نختاره نحن ، ولا يفرض علينا فرضا . وفى هذه التجارب الأليمة التى تعانيها اليونان وبلغاريا ويوجسلافيا وايطاليا وبلجيكا ما يقنعنا بأن نحترس . وما يفتح أعيننا جيدا على طريق « البحار الدافئة » الذى تقف من دونه تركيا وقفة قوية .

ومع هذا فليس لدينا أى دليل يشير إلى قرب وقوع أزمة فى تلك البقعة الشائكة من الأرض . ولم يبد حتى الآن من ساسة الروس ما يبعث على الخوف . ولكن الحذر خير وأجدى . وذكريات الماضى ما تزال ماثلة فى الأذهان .

حقيقة ان لينين عاون الثورة الكمالية معاونة صادقة ، وكان لموقفه تأثير حسن فى الانتصارات الحاسمة التى ظفرت بها جيوش التحرير التركية . ولكن روسيا لينين التى كانت منذ ربع قرن ، غير روسيا ستالين التى نشهدها اليوم .

— ٢ —

هـذا وجه من أوجه الخلاف بين تركيا الكمالية ، وتركيا العثمانية[1] . وهو أن النزعة الامبراطورية ، أو النزعة الطورانية ، أو أى نزعة أخرى تدفع إلى الحرب للظفر بغنائمها ، قد تغيرت الآن . وأصبح الشعب التركى حريصا على أمنه ، وعلى سلمه فى داخل حدوده . ومن الغريب أن الذى رسم هذه السياسة ، هو جندى تركيا الأول ... هو رجل من رجال الحرب ، وبطل من أبطال الميدان . وكان خليقا أن تكون سياسة الغزو هى سياسته ، ولا سيما أن قومه سموه الغازى بعد انتصاراته الدوية . ولكنه كان صاحب عقلية كبيرة ، ونفس ملهمة بصيرة . بل لقد حدث منه ما يخالف الفكرة الشائعة عن رجال الحرب عادة . فبعد أن تغلب على اليونان ، وهزم جندها فى حربه الاستقلالية ، وأسر قوادهم ورجالهم ، رفض فى معاهدة الصلح أن يفرض عليهم مغارم ، أو قيودا مالية من النوع الذى تتضمنه كل معاهدة صلح يمليها

---

(١) دخل السلطان محمد الفاتح القسطنطينية عام ١٣٥٤ . وبويع السلطان سليم بالخلافة عام ١٥١٧ . وخرج السلطان عبدالمجيد من تركيا عام ١٩٢٤ وتوفى إلى رحمة الله منذ شهر واحد .

منتصر على غريمه . رفض هذه العقوبات المالية قائلا انها توقع اليونان فى فوضى داخلية ، ونحن نريد أن تعيش جارتنا فى رخاء ينتزع من القلوب الاحقاد ، ولا يفتح للمستقبل أبواب الخصومات

رفض الغازى بعد حرب الاستقلال أن يكون غازيا . بل طرح هذا اللقب وآثر أن يسمى نفسه : «أبا الترك» ، أتاتورك. ولم ينجب مصطفى كمال ولدا ، ولكنه كان يحس بعاطفة الأبوة لأبناء بلاده جميعا ، وضاق ذرعا بالزواج ، وبالحياة البيتية ، لأنه أراد أن تكون تركيا كلها بيته ، وأن يكون الترك كلهم أسرته .

ثم سار فى تنظيم هذا البيت مسرعا متعجلا ، لايعرف التريث، ويرى الزمن أكبر أعدائه جميعا . كان يريد أن يرى ـ وهو حي ـ معظم اصلاحاته تحققت . فكان يحمل الناس حملا ، مشتدا ، عنيفا ، ظاهر القسوة على كل عقبه ، وكل من يقف فى طريقه. فلما مات كانت جل أمانية قد تحققت ، فقد ترك من بعده شعبا حيا متصلا بالدنيا أعظم اتصال ، يقظا لحاضره ومستقبله .. كان هذا الشعب الحى القوى هو أعظم ما ترك أبو الترك . ويلى الشعب أهمية وقيمة ، هيئة القيادة لهذا الشعب التى خلفها ، وعلى رأسها عصمت اينونو ، التى تمثلت فيها كل صفات الوطنية والعزيمة وصدق النظر إلى الحوادث ..

وهل هناك أقوى على مصارعة حوادث الزمن من شعب حى متماسك يقظ ، ومن قيـــادة محنكة فطنة لا تعرف الخور ، ولا تعرف التهور ..

وهــذا هو مقياس نجاح الزعيم فى أداء رسالته : شعبه ، وكيف تركه . وخلفاؤه ، ومن أى معدن هم ؟ ولا قيمــة مطلقا لزعيم، أو مصلح يرافقه النجاح مادام حيا ، فاذا تولى انهارت من بعــده النظم ، وخارت العزائم . بل ربما كان نجاح الزعيم فى تربية مدرسة حازمة قديرة أهم بكثير من أن ينجح هو فى حياته . ونحن نعلم أن المسيح عليه السلام لم يتمكن وهو حى من نشر رسالته . ولــكن الحواريين الذين تركهم قاموا على الأمانة خــير قيام . ولو أن سيدنا محمــدا عليه السلام ترك الإسلام من بعده فى أيد أضعف من أيدى أبى بكر وعمر وعلى وأبى عبيــدة وخالد والمثنى ومن إليهم لأكلت العرب المرتدة الدعوة والدعاة .

نجح كمال أتاتورك حيا ، ونجح ميتا ..

ويحلو للمؤرخين والباحثين أن يقارنوا بين الزعماء والأبطال، وأن يجدوا لهم الأشباه والنظائر .

فقد شبهوه ببطرس الأكبر ، الذى نقل روسيا من جاهليتها



تمثال « السيادة » الوطنية

إلى حياة المعرفة والتحرر من التقاليد البالية ، ودفعها نحو حضارة الغرب بعنف وقسوة بالغين ..

وهـــذا صواب ولـكنه ليس كل الصواب فلم تكن روسيا مستعبدة بعدو أجنبى وحررها بطرس . أما أتاتورك فقـد حرر بلاده من الاستعمار أولا ثم حررها من الجهل .

وشبهوه بيوليوس قيصر المحارب العنيد الذى كانت تهفو نفسه إلى التاج ، ولـكنه كان يحب قومه أكثر ممـا أحب تاجهم فلما قتلوه وجدوه قد أوقف كل أملاكه على خدمة أهل روما . وكذلك صنع أتاتورك فقد ترك لقومه كل ملاكه . ولكن فرق ما بين الرجلين بعيد . فقد عرضت الخلافة ؛ وعرضت السلطة على أتاتورك فرفضهما وكان صادقا فى الرفض ، لم يظهر شيئا ، ويبطن فى النفس أشياء ، كما صنع قيصر .

وشبهوه بموسولينى الذى حكم بلاده حكما ديكتاتوريا ، وأدخل فيها اصلاحات كثيرة . ولـكن نهاية الفاشية وما آلت إليه تقطع بفساد هـذا التشبيه . كما لا يغيب عن الذهن أن أتاتورك سبق بثورته ، وبانتصاراته ، وبنجاحه موسولينى وهتلر ، وهو لم يأخذ من النازية أو الفاشية أى شىء . بل ربمـا يصح أن يقال ان هؤلاء الحكام أخذوا عنه الـكثير .

لا يشبه أتاتورك أحـدا من كل هؤلاء ، وان كان فيه من كل عظيم قسم ، وهو هـذه الصفات المشتركة فى النوابغ . وإنما يشبه « أتاتورك » عظيما واحدا هو « أتاتورك » نفسه .

فظروف تركيا فى الداخل والخارج لم تتكرر على النحو الذى كانت فيه إلا مرة واحدة ، ولم يكن لها إلا رجل واحد هو الذى كان لها . وإذا قدر لهـذه البلاد أن تنجو من الحرب الدائرة سليمة كما كانت قبل عام ١٩٣٩ ، فستسير عقب الهدنة سيرا حثيثا نحو رقى أصيل ثابت الدعائم . لأنها أفادت فى أيام الحرب ثروات كبيرة من المتاجرة التى يسرت لها أكثر مما يسرت لأى أمة أخرى على ظهر الأرض . فحدودها كانت تتصـل برا بأوربا المحورية ، وبروسيا السوفياتية ، من الشمال والغرب ، وتتصل من الجنوب بالشرق العربى ، وبدول الديمقراطيـات . كما أن كلا الفريقين المتحاربين لم يعنتها فى متاجرتها ، بل ربما يسر لها أمور الاستيراد بما لم ييسر لغيرها .

ففى تركيا الآن ثروات كبيرة تدفقت عليها ،وهى فى يد أبنائها الخلص ، لا فى يد نزلاء من الأجانب . وتركيـا تعرف ما تريد معرفة تامة ، لأنها تسير على برنامج محضر مدروس ، زادته أحكاما دروس الحساب الحاضرة . وهـذه الثروة ، وحياة الاستقرار ،

ستساعدان على رفع تركيا إلى مستوى عال بين أمم البحر المتوسط ولا سيما بعد أن زالت إيطاليا من الوجود كقوة لها خطرها ، أو على الأصح بعد أن زال الأسطول الإيطالى الذى كان يهدد سكان هذا البحر .

ولا يقابل هذه القوة التركية النامية ، والتى ينتظرها مستقبل أكثر نمواً وازدهاراً ، غير قوة مصر والجامعة العربية الجديدة التى وضع أساسها فى بروتوكول الاسكندرية .

وإذا كانت تركيا العثمانية قد أوجدت ألف سبب وسبب للخلاف مع الكتلة العربية ؛ إلا أن تركيا الكمالية ، التى بدلت معالم الماضى كله ، قد أوجدت ألف سبب وسبب للتفاهم مع شعوب الجامعة العربية . وشرق البحر الأبيض المتوسط ، وسلم المستقبل كله يتوقفان ، على وضع سياسة سليمة مشتركة ، تنفذها شعوب هذه المناطق ، وتقرها الدول الكبرى ذات الشأن والمصالح فى مسالك الماء والهواء الموجودة شرق خط طول .

■ ■ ■

وقد ذكرت أن هذه هى المرة الثانية التى أكتب فيها عن تركيا . والحاجة ماسة اليوم إلى إعادة الكتابة وإلى التذكير بالمصالح المشتركة بين الشعبين العربى والتركى . ولم يعد الاعتصام

بالعزلة ، أو التزام الحياد التام من خصائص السياسة الخارجية فى هذه الأيام . ولم تعد الحدود السياسية وحدها كافيــة لأن تفصل شعباً عن شعب بعــد أن هزمت « الآلة » المسافات ، وتخطت الأرض إلى السماء . فقد تشابكت المصالح تشابكا عجيباً ، وستزداد صلات الدول بعضها ببعض تعقيداً كلما تقدم الزمن . وتوجد الآن وستوجد فى المستقبل القريب عوامل تجعل بعض الصلات اضطراراً لا مناص منه ولا اختيار فيه .. ومن الخطأ أن نزعم أن الظروف التى تحيط بالدردنيل هى غير الظروف التى تحيط بقنال السويس مثلا .

ونحن نعلم أن مشاكل البلقان ، ومتاعبه التى لا تنتهى تستغرق من تفكير ساسة تركيا وقتاً كبيراً . ولــكن ليس هــذا هو كل شىء فى سياسة تركيا الخارجية . ومن سنوات قليلة دخلت تركيا فى تحالف « سعد اباد » الرباعى بينهــا وبين العراق وإيران والأفغان . ولــكن هــذا التحالف لم يفد أحد الشركاء أية فائدة تذكر ، اللهم إلا أن يكون معاهدة حسن جوار بين الشعوب الأربعة .

ونأمل أن يجد على ضوء الظروف الدولية الدولية الجديدة ــ ما يستدعى أحكام هــذه الصلات ، وتوثيق صلة تركيا بالــكتلة

العربية ، على نطاق أحكم وأجدى من ميثاق سعد أباد

والوسيلة التى نستطيع أن نخدم بهـا أهداف المستقبل ، هى أن نقدم صورة صحيحة صادقة لـكفاح الشعب التركى من أجل حريته ورفعة شأنة ، لـكى يطالعها من لم يقف عليهـا من أبناء العربية ... صورة تدفىء صدورنا بجلال البطولة ، وصلابة الأتراك فى كفاحهم من أجل حقهم

وقد أشرت فى كتابى السابق إلى كتاب ارمسترنج عن أتاتورك « الذئب الأغبر » ، وذكرت انى قرأته فى السجن عام ١٩٣٧ وكان ينتفض بالحياة، وكان إغراؤه شديداً، «حتى لقد كنت أوثر أن أجلس معه فى الفترات التى يسمح فيها للمسجونين بمغادرة غرفهم (الانفرادية) على أن ألتمس شيئاً من الترويح أو المتعة فى الخروج إلى الفضاء مع الخارجين »

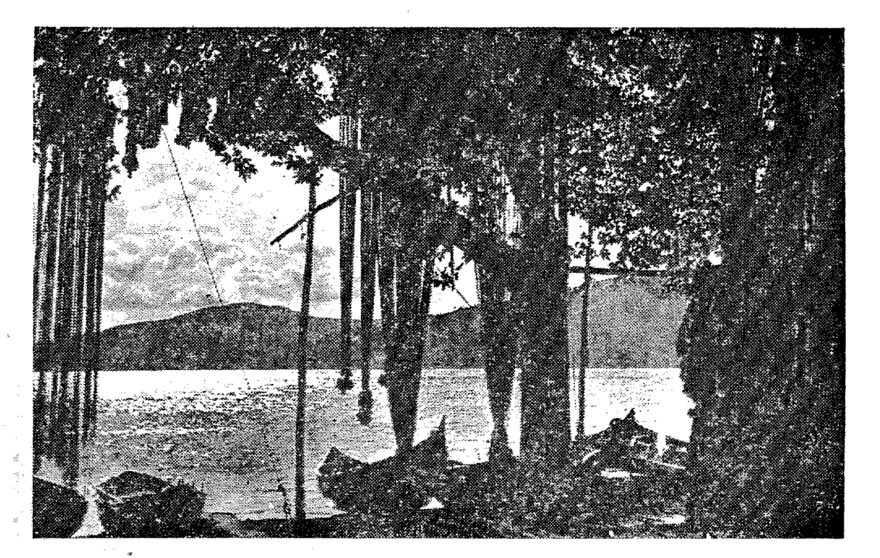
ويهمنى أن أشير فى هذه الطبعة الجديدة ، إلى كتاب ظهر قبيل الحرب وهو « ترك وأتاتورك » للأستاذ عزيز بك خانكى ولا حد للدين الذى يحمله قراء العربية جميعاً لهذا المؤلف الفاضل الذى يدأب فى مثابرة وأمانة كبيرتين على التأليف النافع المفيد المدعم بالأرقام والإحصاءات الـكثيرة ، ثم يطبع بحوثه فى كتب جميلة ، ويوزعها مجاناً ، لا يبغى إلا تثقيف قومه ، ثقافة صحيحة

وهذه روح جديرة بالإكبار ، حقيقة بالثناء . وكتابه عن تركيا مثل بقية كتبه جزيل النفع ، ويعد من أهم وأحدث المراجع عن موضوعنا هذا .

■ ■ ■

وبعد ، فهذا هو كتابنا الخامس من مجموعة كتب الشهر الثانية . نرجو أن يحقق الفائدة التى رجوناها من إصداره
وإلى اللقاء فى كتاب الشهر القادم إن شاء الله ؟
دار الثقافة العامة فى ١٩ - ١ - ١٩٤٥

صبيح



البسفور تحت ضوء القمر

تركيا فى سطور

■ يقدرون عدد سكان تركيا حسب آخر إحصاء بعشرين مليون نسمة .

■ كثر تردد الأجانب على تركيا فى أثناء هذا الحرب . وقد أربكتهم الطريقة الجديدة فى كتابة أسماء الأعلام وغيرها بالحروف اللاتينية . فمثلا :

	بالإنجليزية	بالتركيـة
قهوة	Coffee	Kahve
جورج	George	Jorj
البيت الأبيض	White house	Waytaus
الشباب	La Jeunesse	La Jones
لوزان	Lausanne	Lozan
فندق	Hotel	Otel
قصر	Palace	Palas

وهكذا تخلص الأتراك من مشكلة النطق ، بأن كتبوا الأعلام كما تنطق تماماً .

■ فى يونيو سنة ١٩٣٦ ، وافقت الدول فى معاهدة مونترو

على أن تحصن تركيا مضايقها . ولكن أتاتورك ، لم ينتظر هذه المعاهدة لأنه كان قد حصن المضايق فعلا ..

■ حظر السلطان عبد الحميد استعمال التلفون والكهرباء والجراموفون . كما حذف من القواميس والصحف كلمات الدستور والثورة ، والجمهورية ، والمساواة . . الخ .

■ روى عزيز بك خانكى عن عثمان باشا مرتضى أنه لما بدئ باستعمال التليفون فى القاهرة ، أرادت الحكومة تركيب جهاز تليفونى فى المحكمة الشرعية ، فعارض قاضى مصر التركى وقال إن التليفون من عمل الشيطان . ولم تفلح محاولة إفهام القاضى نظرية التليفون العلمية . فاضطرت الحكومة بعد حين أن تضع الجهاز التلفونى على الرغم من معارضة القاضى !

■ بدل أتاتورك يمين الولاء للدستور ، وأصبحت صيغته : « أقسم بشرفى بألا أعمل عملا يضر بسعادة الأمة ولا بسلامة الوطن ولا يمس سيادة الأمة تلك السيادة المطلقة التى لا يحدها شرط ولا قيد . وأقسم بشرفى أن أكون أمينا ، وفياً لمبادئ الجمهورية »

■ من أوامر أتاتورك ألا يفرج عن مسجون إلا إذا تعلم القراءة والكتابة ، وأن يكون ذلك بالحروف اللاتينية طبعاً

■ ومن تشدده فى نشر هـذه الحروف أن الموظف الذى لا يتعلمهـا يفصل من خدمة الحـكومة ، ويحرم من الجنسية التركية ! !

■ عندما تبلغ المرأة سن ٢٢ يكون لها حق الانتخاب ، ويجوز دخولها المجلس الوطنى الـكبير إذا بلغت الثلاثين

■ كان لعب الشطرنج ممنوعا فى تركيا العثمانية لأن بعض قطعه كانت على هيئة آدمية ! وكان التصوير محرماً بطبيعة الحال

■ يزيد عدد بيوت الشعب فى تركيا على ٢٠٠ وهى نواد تشرف على محو الأمية ، ونشر الثقافة والرياضة ، وتكثر فيهـا حفلات الموسيقا والمحاضرات والتمثيل والمعارض والرحلات . و بلغت ميزانية هذه البيوت عام ١٩٣٧ مبلغ ٩٦٢٫٠٠٠ جنيها

■ فى سنة ١٩١٧ زار مصطفى كمال كارلسباد لـكى يعالج نفسه، وعرض نفسه على الطبيب النمسوى الشهير الدكتور زوكر كاندل ، فقال له الطبيب انه اذا لم يمتنع عن شرب الخمر فسيموت بعد عام واحد . ولم يصغ المريض لنصح الطبيب وعاش ٢٢ سنة بعد هذه الاستشارة وأما الطبيب فقد عاش عامين فقط بعدها !

■ كمال ابن موظف اشتغل بالجمارك ، وكذلك كان أبو هتلر

■ أرادت أم ستالين أن تعلم ابنها ليكون قسيسا ، ففسد حتى أصبح زعيما . وأرادت أم كمال أن تعلمه لكي يكون فقيها في الاسلام ، ففسد بدوره حتى أصبح « أتاتورك » ! !

■ ولد ستالين في تفليس ، ولا يزال أهل المدينة ـ بل أهل جورجيا كلها ـ يزعمون أن ابن إقليمهم ضم روسيا إليهم . . ولكن أهل سالونيك التي ولد فيها أتاتورك لا يفتخرون به مثل فخر أهل تفليس برجلهم ، لأن سالونيك أصبحت يونانية وانفصلت عن تركيا !

■ من الكلمات العربية التي غيرت في التركية كلمة « الله » . فقد أصبحت « تا كرى » والله أكبر، تنطق « تا كرى اولودر »

■ أنشأت تركيا الكمالية عدداً كبيراً من المساجد ، ونزعت ملكية المساكن المحيطة بمسجد « يكى جامع » حتى تظهره . وكلفها هذا العمل ثلث مليون جنيه

■ لكي يلغى أتاتورك كلمة القسطنطينية من القاموس الجغرافي للعالم ، حتى يستقر اسمها التركي «استانبول»،أخطر مكتب التلغراف الدولي في برن ، أن كل رسالة ترد للمدينة وعليها عنوان غير استامبول ، ترفض .

■ أبطلت تركيا الاضراب ، وجعلت الحكومة حكما فى كل خلاف ينشأ .

■ بلغ طول السكك الحديدية التى مدت فى عهد كمال أتاتورك ٢١٣ر٢ كيلو متراً . وكانت السكك الحديدية ملك شركات أجنبية فاشتراها منها كلها .

■ فى تركيا أكثر من ٠٠٠ر٣٦ أم يزيد أولادها على ٦ ، وتمنح المكافآت المالية لهذا الفريق من الامهات

■ كان الجنرال الألمانى فالكهنين قائدا للجيوش التركية ، فأرسل مرة هدية لمصطفى كمال هى ١٢ صندوقا مملوءة بالذهب رغبة فى استمالته . فأخذ كمال الصناديق وأرسل بها إيصالا للقائد الألمانى ثم تبرع بها للجيش التركى . فكف الألمان عن محاولة استمالته عن طريق الرشوة

■ ذكر الرئيس عصمت اينونو عن واقعة سقاريه الشهيرة ـ وسيرد حديثها فى صلب الكتاب ـ : ان الفضل فى انتصار الترك فى واقعة سقاريه يرجع إلى نساء الترك . فهن اللاتى زودن الجيش بالميرة والذخيرة تحت وابل من نار العدو »

■ فى سنة ١٩٢١ تحالف كمال مع حكومة موسكو ، وفى نفس

الوقت أمر بمكافحة الشيوعية فى كل ركن من أركان بلاده التى له عليها سلطان

■ كانت أول وأصعب المعارك التى خاضها أتاتورك هى معركة الأزياء — أو الترزية وصانعى القبعات !

■ صارت انقرة عاصمة تركيا بدلا من استانبول . وهى مقامة على أرض جرت فيها معركة من أشهر معارك التاريخ بين جيوش تيمورلنك التى بلغ عددها نصف مليون رجل ، وجيوش السلطان بايزيد . وقد هزم بايزيد وأسر فى هذه المعركة .

■ تولت السيدة خالدة أديب منصب الوزارة فى تركيا

■ تحتفل تركيا كل ٢٩ أكتوبر بعيد جمهوريتها

■ عندما أصدرت تركيا قانون استعمال اللغة التركية ، فرض على الشركات التى تخالفه عقوبة الغرامة ، وهى ٥٠٠ جنيه فى المرة الأولى ، والغلق وتعطيل الأعمال فى المرة الثانية .

■ فى سنة ١٩٢٤ ألغيت المحاكم الشرعية وأضيف اختصاصها إلى المحاكم الأهلية

■ أمر أتاتورك باخراج بطريرك الروم الارثوذكس من استانبول. فاحتج اليونانيون ، لأن بطريركهم كان يتمتع بنفوذ

كبير جدا فى المدينة ، يفوق اختصاصاته الدينية . ولكن الحكومة التركية ، لم تبال بهذا الاحتجاج . وكتبت الصحف تقول إن الذين أخرجوا خليفة المسلمين من بلادهم لا يجبنون عن اخراج بطريرك الأروام . وكان ذلك فى أوائل سنة ١٩٢٥ .

■ كان عدد تلاميذ مدرسة الفرير فى قاضى كوى ١١٠٠ تلميذا . فلما صدر قانون وضع المدارس الأهلية تحت اشراف الحكومة هبط عدد التلاميذ إلى الثلث . فأغلق الرهبان هذه المدرسة

■ صادرت الحكومة التركية أطيان الدوائر الزراعية الكبيرة ووزعتها على صغار الملاك والمزارعين

■ لا يوجد فى تركيا غير حزب واحد هو حزب الشعب

■ ألغت تركيا شركات الاحتكار بأن اشترتها الحكومة كلها . منها شركات السكك الحديدية ، والكهرباء ، والمياه . والتلفون

■ ألقى أتاتورك خطبة فى عام ١٩٢٧ أمام أعضاء المجلس الوطنى الكبير استغرق القاؤها ستة أيام . وطبعت الخطبة فكانت فى مجلد ضخم . وقد تضمنت تاريخ الثورة التركية

■ خطب موسولينى مرة فقال إن مجال ايطاليا الحيوى فى

آسيا وافريقيــة . فدعا أتاتورك السفير الايطالى فى انقره وقابله بملابسه المدنية . ثم تركه دقائق وعاد يلبس ملابسه العسكرية . وقال للسفير قل لرئيس حكومتك إن تركيـا كلها تستطيع أن تلبس ثيابها العسكرية فى بضع دقائق . ولم يسع موسولينى إلا أن يعتذر ، ويقول إنه لم يكن يقصد تركيا

امبراطورية تتداعى

١

هدأ كل شىء

هدأ كل شىء وسكن كل حى وصمتت المدافع ، وأطبقت أفواهها على آخر رجع من صدى طلقاتها . ولم تكن ترى فى بقاع تلك القارة التى سكنتها الأبالسة والشياطين أربعة أعوام طوال إلا أعمدة من الدخان تتصاعد من حطام « الحضارة » التى دمرها ذكاء المتحضرين ، ولم تكن تسمع فى أكثر أنحاء الدنيا إلا أنين الألم ينبعث من دور التمريض والعلاج التى حمل إليها مئات آلاف الجرحى والمرضى والمشوهين ، وإلا بكاء الأسى تنشج به قلوب الثكالى واليتامى والأيامى فى كل ركن من أركان العالمين .

كان ذلك فى اعقاب عام ١٩١٨

ولم تخدع أحد أنغام الموسيقات التى جمعها المنتصرون فى حدائق

فرسايل حيث التقوا لتقسيم الأسلاب والغنائم . فقد اكتوى بنار الحرب الظافر والخاسر ، بل ربما كانت حلاوة النصر فى فم أصحابه أبغض من مرارة الهزيمة عنـد أصحابها . لأن المتألم إذا بكى ، خفف عن نفسه حرّ ما يعانى ، أما المتألم الذى يضطر إلى الضحك فهو الطير الذى يرقص مذبوحا من الألم !

ووضعت سلطنة آل عثمان على مائدة الحساب ، وكان حسابا عسيراً تجلت فيه أطماع أوروبا كلها فى تركة الرجل المريض

وكان أول مراحل الحساب أن ترد السلطنة عن أملاكها ، وتسجن داخل حدودها . ثم انتقل الحساب إلى مرحلة ثانية ، وهى أن يقتص من هذه الحدود نفسها ، وأن تطأها أقدام الاحتلال ..

وفى ١٥ مايو سنة ١٩١٩ بدأوا بالتنفيذ .

كان أسطول الأميرال كالثورب الانجليزى راسيا فى ميناء أزمير واستدعى الأميرال حاكم المدينـة التركى وقال له فى لهجة حازمة قاطعة :

— صدرت الأوامر بأن ينوب الجيش اليونانى عن الحلفاء فى احتلال أزمير ، وسينزل الجند إليها صباح غد .

ففغر الحاكم التركى فمه ، كأنما يريد أن يلتقط به كلمات الأميرال التى لم تقو آذانه على سماعها ، واتسعت عيناه ، واستحال لونه إلى

أصفر ، ثم أزرق من شدة الهول . وما أن استجمع أنفاسه المبددة في أنحاء صدره حتى صاح :

— اليونان . . اليونان ، هم الذين جاءوا لاحتلال أزمير .

فأجاب الأميرال في إيجاز :

— أجل . . هذه هي أوامر حكومتي .

فصمت الحاكم المسكين قليلا ، ليزداد فهما لما سمع . . ثم قال في كآبة حزينة ، وكأنما أراد أن يطلق آخر سهم في جعبته :

— إذا نزل اليونانيون إلى المدينة ، فلا أستطيع أن أضمن هدوء الحال .

وكان الأميرال يقدر الحرج الذي يعانيه الحاكم التركي ، ولم تكن له حيلة في التخفيف عنه ، لأن الأوامر هي الأوامر . فصاح قائلا :

— سيحتل اليونانيون المدينة . . أفهمت ؟

فأجاب الحاكم مستعطفا :

— أرجو أن تسمح بأن يسبق عدد قليل من جنودكم هؤلاء اليونانيون . لا أريد أكثر من ٣٠٠ لكي اهدىء من روع الشعب . ولأستطيع أن أقول للناس إن الحلفاء هم الذين يحتلون مدينتهم ، لا اليونانيون . وإن وجود هؤلاء الجنود أمر عارض سيزول قريبا . فأنهى هذه المناقشة التي لا طائل تحتها بقوله :

ـــ هذا مستحيل .

وانصرف الحاكم كسير النفس ، مثقل الفؤاد بهم لا سبيل إلى وصفه أو تقديره . كانت الدنيا المضيئة في عينيه ظلاما . وكانت الطيوف والأشباح ترقص من حوله . وشعر كأنما تبدل من تركى يشعر ويحس ، ويملأ هذه الملابس التى يرتديها ، إلى قزم مشوه الخلقة ضعيف الحول والطول .

ايمكن أن يكون هذا الذى سمعه حقا .

أيأتى اليونانيون ليحتلوا قسما من أعز بلاد تركيا عليها . اليونان التى ظلت ولاية من أضعف ولايات الأمبراطورية . اليونان التى عاش شعبها يدين بالولاء للأتراك قرونا بعذقرون هى التى تسود ، وتنهى ، وتأمر فى سادتها . . . سادتها إلى الأمس القريب .

ورنت فى اذنه كلمة الأميرال الأخيرة كأنها دوى القنابل :

ـــ هذا مستحيل ؟ !

ارتمى الحاكم على مقعد فى غرفته ووضع رأسه بين يديه ، لا يكاد يحس بهؤلاء النفر من أعوانه الذين اجتمعوا حوله هلعين ، ولا يكاد هؤلاء النفر يجدون وسيلة يخرجون بها رئيسهم مما هو فيه من صمت وجمود ، وفجأة صرخ الرجل كأنما به جنة :

« جيوش اليونان . . ! »

ثم عاد إلى صمته ، وراح كل فرد منهم يفكر ويقدر .

اليونانيون يحتلون بلادنا . أى عار . وأى مذلة . أتبقى أزمير التى سكنها الامجاد من الفاتحين القدماء ، هى أزمير ، تداعب شواطئها أمواج الد البيضاء ، وتغسل ربوعها أشعة الشمس الوهاجة ، وهذا القطيع من عبيد الأمس يطئونها بأقدامهم ويسلطون عليها من ألوان النكال والعذاب ما يسلطه الأسير على آسره إذا ساد . وما أثمت ازمير فى حق نفسها وما امتلك رقبتها فاتح بحد السيف ، ولكنها ضريبة مخيفة يؤدونها لسبب يجهله الناس ، وتفهمه السياسة ، وتجيزه الخلافة .!

***

وهنا نترك الكاتبة الفرنسية مدام جوليس التى زارت تركيا عقب الحرب الماضية ، وراقبت حركتها الوطنية عن كثب ، لكى تصف ما حدث فى أزمير فى يومها ذاك قالت :

بدأ اليونانيون ينزلون إلى البر من المدرعتين افيروف ، وليمونس تحت قيادة الكولونيل «زانيريوت» ، وكانوا يتألفون من آلاى الافزون ، والآلايين الأربعين والخمسين المشاة .

انتظموا صفوفا ، وتقدمهم علم يونانى كبير جداً . وازدحمت

على جانبي الطريق الخالي من الأتراك جموع من الاروام يصيحون: زيتو فنزيلوس (يعيش فنزيلوس) . واستخف الزهو حامل العلم ، فكان يميل به يمينا و يسارا . وكانت وجهة المحتلين والمتظاهرين الثكنة العسكرية التركية التي آوى إليها جنود الحامية التركية مع عدد عظيم من الضباط والشبان القادمين للاقتراع كي يلتحقوا بفيلق الولاية . وكذلك كانت الثكنة تأوي ضباط الآلاي السادس والخمسين من الخيالة وسواهم ، تنفيذاً للأوامر التي صدرت لهم بالاحتشاد في هذا المكان تجنبا للمتاعب . وقد أسلمت هذه القوة التركية أسلحتها تنفيذاً للأوامر أيضاً .

وهكذا كنت لا ترى وراء جدران هذه الثكنة غير جموع من رجال الحرب تكدس بعضها بجانب بعض . تعلو وجوههم سمات الغضب المكبوت ، والقهر المحتبس في الصدور. ولم يكن أحد يدري لماذا اتخذ اليونانيون هذه الثكنة وجهتهم .

وما هي إلا فترات قصيرة حتى أحدق الجيش المحتل بالبناء ، ثم دوت طلقة من أحد المتظاهرين ، كانت إيذانا بحركة فاجعة . فقد طوق المحتلون الثكنة ، وصوبوا نحوها مدافعهم الرشاشة ، واطلقوا نيرانهم ، فطارت مصاريع النوافذ الزجاجية ، واكتسى فناء الثكنة بالجثث التي انتثرت على الأرض . وأخذ الجنود أمام

هذا المنظر الرهيب الفظيع يترامون نحو المبانى لكى يدرأوا بها الموت عن أنفسهم . فوطىء بعضهم بعضا بالاقدام، وزاد هذا الهلع من عدد الضحايا .

وحاول الاتراك المحاصرون أن يدافعوا عن أنفسهم ، فأخذ أحدهم قطعة قماش ، رفعها ، وسار صائحا فى اخوانه كى يتبعوه : ولكن نيران المدافع وحراب البنادق كان أقوى من بسالتهم ، فسقطوا بدورهم صرعى .

وفى خلال هذه الفظائع وصلت أوامر تأذن للضباط والجنود العثمانيين بمغادرة الثكنة إلى الميناء ، حيث تنقلهم المراكب . فانتظم الجميع فى صفوف ، وخرجوا وقد حملوا معهم كل اخوانهم الجرحى . وما كادوا يخرجون من الثكنة حتى أحدق بهم الجنود اليونانيون ، ورجال العصابات ، وجموع المتظاهرين ، وأخذوا يقذفون على الأتراك أقذع أنواع السباب . وقام جنود الاحتلال بدورهم . فكانوا يصيبون الأتراك بمؤخرة البنادق ، وبأسنة الخناجر ، ووضعوا أيديهم فى جيوبهم ، ونهبوا كل ما كان معهم . وكان أفجع ما فى هـــذا المنظر تمزيق ثياب الأتراك واختطاف طرابيشهم ، ووطئها بالاقدام .

وهكذا أخلت حامية أزمير المدينة ، لكى تسلمها للمحتلين

غير الفاتحين . و بقى القتلى والجرحى مطروحين فى الطرقات ، وكانت طلقات الرصاص تتوالى على الأحياء من الجرحى الذين يلفظون انفاسهم الأخيرة من الباخرة بتريس ، ومن النسافات اليونانية ، ومن مصرف الاناضول اليونانى .

انتهى دور الجنود . وجاء دور الأهالى . و بدأت حوادث السلب والقتل وثلم الأعراض . ثم جاوزت أزمير إلى بقية قرى الولاية و بلدانها الصغيرة . وأمام هذا البلاء النازل لم يسع أهل القرى إلا أن يدافعوا عن انفسهم ، وألا يصغوا إلى أقوال البعثة السلطانية التى اقبلت لتهدىء من روعهم وتؤكد لهم ان الاحتلال مؤقت .

وهكذا عم الاضطراب ولاية ايديا كلها التى يقرب سكانها العثمانيون من مليونين .

— ٢ —

دار السعادة

كان الفصل ربيعا ، وأضواء الفجر توشك أن تعمر مآذن العاصمة العظيمة . وقبـل أن يرتفع صوت المؤذن ، سمع صوت آخر ، لا يبعث فى النفس الراحة ، ولـكن يقفز بها فوق موج الفزع .. كان صوت الرصاص وهو يئز ، فيصك الآذان صكا ..

ترى ماذا دهاك يا فخر المدائن ، وعروس المضايق ؟ ولم يطل ترقب السائلين فقد ذاع النبأ فى كل مكان .. ذاع أن جنود الحلفاء بدأوا يحتلون عاصمة آل عثمان ، وأن وزارة الحربيـة والبحرية كانت أول محطة لنزولهم . ثم تبعتها وزارة المواصلات لقطع كل صلة بين استانبول وباقى البلاد .

وما لبثت الأحكام العرفية أن أعلنت ، فبدلت ربيع هـذا اليوم [٢٦ مارس سنة ١٩٢٠] ، بما يشبه عواصف الشتاء

وبمقتضى قانون الأحكام العرفيـة صدر قرار بالقبض على

أعضاء مجلس «المبعوثان» أو مجلس النواب التركي ، وكان مجتمعا لدرس الموقف .

وقصت مدام جوليس قصة الأستانة ، فقد شهدتها أيضا .. قالت :

كان ينساب بين هذا الجمهور العظيم في الاستانة ، أفراد يتنسمون الأخبار ، ويستطلعون الحقائق من فدائيي العثمانيين . ولا يلبثون بعد أن يحصلوا على ما يريدون من تفاصيل الأنباء أن يغيبوا عن الأبصار ، لابسين ثوب الخفاء ، إلى بلدان الأناضول ، ناقلين ما رأوه من شعور ، ومن أسى ومصائب متعددة ؛ جاعلين من موادها عوامل محركة ، موقظين الهمم ، مضرمين جذوة النار في النفوس الهادئة التي لا تلبث بعد أن يصل إليها هذا الكلام أن تنقلب إلى سعير متأجج

فلا تكاد تمر بهؤلاء الرواد إلا بضع ساعات حتى يصلوا إلى الأناضول ، وفي بضعة أيام يصلون إلى قونية ، ومنها ينتقلون إلى أنقرة فسيواس . ثم يأخذون في الرحيل إلى جهات سحيقة ليست محدودة في برنامج أسفارهم ، وما يلبث أهل هذه الأصقاع ـ بعد سماعهم ما ينقل إليهم من فاجع الأنباء ـ أن يستحيلوا إلى نمور متوثبة ، وسباع غاضبة .

و بعد عدة أسابيع يكون هؤلاء الفدائيون جوابو الآفاق قد اخترقوا السهول والوهاد والجبال ، وانسابوا إلى بلاد الاسلام فى قارتى آسيا وافريقيا التى كانت تربطهم فيها الآلام والكوارث برابطة الاتحاد المقدس .

وكان بين جيوش هؤلاء الداعين إلى الاتحاد والناشرين أنباء الفظائع والأهوال أناس يتزيون بأزياء الفاقة والبؤساء ، وهم من خير من أنجبت الأمة العثمانية ، بل العالم الاسلامى ، تفكيرا وعلما وقوة ارادة وشدة مراس .»

● ● ●

ولكى نقف على عوامل هذه النكبة التى حلت بدار السعادة و بقية البلاد التركية يجب أن نعود إلى الوراء قليلا ..

فنى سنة ١٨٦٧ تولى عبدالحميد الثانى عرش السلطنة العثمانية، وظل سيد البلاد ، أربعين سنة وسنة . وقد توالت على السلطنة فى عهده نكبات يرجع بعض المؤرخين معظمها إلى سوء تدبيره. ولكن من الممكن أن تنسب لعبد الحميد سيئات كثيرة إلا أن ينسب له سوء التدبير . فقد كانت له غاية واضحة عمل لها ، وهى أن يحكم البلاد حكما حازما قويا ، وأن يرد عنها الأعداء القادمين من الخارج ، والفتن الثائرة فى الداخل . وطراز حكم كهذا ،

يحتاج إلى رقابة شديدة تفرض على الأفراد والجماعات . وقد برع عبد الحميد فى ايجاد نظام للجاسوسية امتـدت أطرافه إلى أقصى مكان فى امبراطوريته ، حتى لقد ذكروا أنه ما من ثلاثة تكلموا معا فى أمر من الأمور ، إلا كان أحدهم عينا ، واذنا لعبد الحميد.. ولأمر ما سموه « الثعلب الأحمر » .

ولقـد حاول السلطان أن يغلق على بلاده جميع الأبواب التى تصلها بمظاهر الرقى والتقدم الأوربى ، ولا سيما ما اتصل منها بالحكم وأنظمته . فهو يعلم أن هذه الآراء الحديثة التى شملت أوربا كلها تقريبا ، ستصل حتما إلى شعبه فتنبه حواسه ، وتأجج حماسته ، وتطمعه فى التطلع إلى نظام حكم يشترك فيـه الشعب الفقير المحطم مع السادة الذين يسوسون الأمر . ونجح عبـد الحميد فى أوائل حكمه الطويل . ولـكنه لم يستطع أن يحمل دورة الزمن على أن تقف وان كانت قد أبطأت قليلا ، ومع هذا كانت تدور ، وكان مقدرا لها أن تصل إلى غايتها ..

بنى عبد الحميد قصر يلدز ، أو على الأصح ضاحية يلدز ، لأنه لم يكن بناء واحدا [مثل الكرملين فى روسيا] بل مبانى عدة ، أقام فيها هو ، وحاشيته ، وضباطه وحرسه ، وخدمه . ووفر لهذا الحشد العظيم أسباب الحياة ، كما منعهم بقدر طاقتـه من الاتصال

بخارج هذا القصر حتى لايتعرضوا لجرائم المدينة الخطرة ، ولاسيما ما تعلق منهـا بالحكم ونظامه . وحسبنا أن نذكر أن طباخى يلدز زادوا عن ٨٠٠ طباخ لكى نأخـذ صورة عن عدد الذين كانوا يعيشون حول عبد الحميد

وسجن السلطان نفسه فى هذا البناء الفخم مختارا ، وانـكب على عمله الشاق المضى . حتى لقد أكد أكثر من اتصلوا به عن كثب من السفراء الأجانب أنه كان أكثر حكام التـاريخ جلدا وصبرا . كانت تحمل إليه آلاف التقارير من عماله وجواسيسه ، فما أهمـل الاطلاع على ملخص من ملخصاتها ولا توانى فى اصدار الأوامر ، ولا فى لفت نظر أعوانه إلى أساليب العمل وطرائقه .

حدث مرة أن جاء نبأ إلى الصحف عن «اغتيال» الامبراطورة اليزابث فى جنيف وعن تفصيـل « استياء » الدوائر السياسيـة الأوربية من هذا الحادث . فأمرت المراقبة بأن ينشر الخبر هكذا دون زيادة أو تعليق :

« توفيت الامبراطورة اليزابث فى جنيف »

وهكذا حذفت كلتى « اغتيال » ، و « استياء » من النبأ .

ومن الأوامر الغريبة التى طبقت فى ذلك العهد ، أنهم رفضوا ادخال نظام المواصلات التلفونية فى البلاد خشية أن يكون سببا فى

زيادة اتصال الناس بعضهم ببعض ، اتصال قد تخفى تفاصيله على الرقباء ، وعندها يوجد المجال للمؤامرات كى تبيض ، وتفرخ

وقد ابتلع نظام الجاسوسيــة قسما كبيرا من ايرادات الدولة . ولم يكن كثير من هؤلاء الجواسيس موفقا فى الحصول على أنبـاء ذات بال. فكان بعضهم يضطر إلى اختلاق الأنباء احتفاظا بمركزه. وكان عبد الحميد يعلم هذا ، ولــكنه كان يقول . « لا بأس فى أن يسرقوا أموالى ما داموا فى خدمتى ، وما دمت أثق بهم »

وعلى الرغم من كل هذا الاحتياط كان الشبان الأتراك الذين تشبعوا بمبادىء الديمقراطية الحديثـة ، والذين تألف منهم حزب تركيا الفتاة ، لايتوانون عن تعكير صفو السلطان الطاغية . فكثيرا ما كان يستيقظ فى الصباح الباكر ، فيعلم أول مايعلم ، أن نشرات مطبوعة وزعت على النـاس ، وألصقت على مبانى يلدز نفسه ، وفيها حض على الثورة ، ودعوة للسلطان إلى اعتزال العرش و إلا تعرض للاغتيال .

وكان السلطان فعلا عرضة للاغتيال فى كل وقت . فقد ألقيت عليه القنابل أكثر من مرة ، ولكنه كان ينجو منها .

وزاد فى همومه ووساوسه ، ما كان يعلم من انحياز كثير من كبار رجال الدولة إلى فريق الساخطين المطالبين بالاصلاح .

ومضت على عبد الحميد ٣٠ سنة وهو يقاوم ، ويجاهد ويجالد حتى انتهى بالسلطنة وبنظام الحكم إلى ماستعلم بعد حين . وانتهى بالسلطان فى السنوات العشر الأخيرة من حكمه إلى أن يتبدل احتياطه خوفا ، وحذره هلعا ورعبا ، وما أكثر ما كان يرتاب فى زواره ويهم باطلاق الرصاص عليهم بنفسه لأدنى حركة تريبه أو تزعجه . وحدث مرة أن كان أحد القواد ينحنى ثلاثا وهو يحييه ، فتعثر فى سيفه ، وحسب السلطان أنه يهم باغتياله ، فأخرج من فوره مسدسه الذى لا يفارقه ، وأطلقه على القائد ، فأصابه بجراح يسيرة !

— ٣ —

الثائر الصغير

ولكي نقدم صورة واضحة تبين نوع الحياة التي عاشتها تركيا في ظل عبد الحميد ، سنختار « تركيا » من بين رعايا السلطان ندرس حياته ، ونرى على أضوائها التاريخ السريع للشعب كله .

ومن الخير أن يكون هذا « التركى » الذى اخترناه هو « مصطفى كمال » ، فقد قدر له أن يتدرج من ثائر صغير إلى ثائر عظيم ، إلى حاكم جبار ، تتجلى فى شخصيته المزايا الأصيلة لجنسه ، وللبيئة التى عاش فيها .

ولد مصطفى كمال عام ١٨٨١ فى سالونيك . وهى مدينة إغريقية قديمة . ويظهر أن عدداً غير قليل من حكام العالم وطغاته المعروفين نشأوا فى أقاليم غير التى اشتهروا فيها وتسيطروا عليها .

فقد كانت أسرة هتلر تقيم فى قرية نمسوية تقع قرب الحدود التشكية وفيها ولد هتلر .

والمعروف أن جوزيف بلسودسكى أكبر منشئ للدولة البولندية الحديثة من أصل لتوانى

وولد ستالين فى إقليم چورچيا . وهو ليس إقليما روسيا صميما أما ديفاليرا حاكم ايرلندا فقد ولد فى نيويورك .

كان أبو مصطفى كمال - واسمه على رضا - رجلا من الطبقة دون المتوسطة ، يعمل موظفا صغيراً فى الجمارك ، ولكن أمه السيدة زبيدة فكانت أعلى مستوى ، وكان لها أعظم الفضل فى تكوين شخصية ابنها و إظهار مزاياه .

ويذكر جون جنتر فى بحثه الموجز عن مصطفى كمال « ان على رضا والد مصطفى من أصل ألبانى . وان زبيدة أمه بنت فلاح تركى أنجب ابنته من زوجة مقدونية . وبذا يكون كمال من أصل تشوب تركيبته الصميمة بعض الشوائب . ويزعم توينبى فى كتابه - العظماء المعاصرون - أن دماً يهودياً يجرى فى عروق الأسرة الكمالية . فقد كانت سالونيك مهبط اليهود أيام محنتهم . وقد درأوا عقائدهم باعتناق الإسلام . ولكن طبائع مصطفى كمال ولون عينيه ، وتكوينه الجسمى ينأى به عن أن يكون متأثراً بدماء يهودية »

وقد تعود الباحثون أن يلتمسوا بعض الغرائب فى سير العظماء



نداء الشباب التركى

ولا سيما فى أصولهم البعيدة . وما أكثر ما ذكروا انتساب روزفلت وتشرشل وغيرهما لليهودية . . ولكن كل هذه ظنون لا تثبت للنقد الدقيق . ولو أن مصطفى كمال مقدونى الأصل ، أو يهودى الدماء ، لما كان أعظم ثائر فى تركيا ، ولما تأججت حماسته للشعب التركى حتى أشعلت من حوله هذا الضياء الوهاج الذى نقل بلاده من حال إلى حال . . .

وقد أحصى نفس المصدر سبع تعديلات أدخلها مصطفى كمال على اسمه .

فقد ولد وأسماه أبواه « مصطفى » . فلما دخل المدرسة عدل اسمه الى « مصطفى كمال » لأن مدرساً فى المدرسة كان يحمل اسمه الأول . وحتى لا يلتبس الاسمان على سامع أو مناد . أدخلت هذه الإضافة على اسم الصغير . فلما شب وكبر حمل لقب الباشوية فأصبح « مصطفى كمال باشا » . ولما نجح فى طرد اليونانيين من بلاده عام ١٩٢١ لقبه قومه « بالغازى » فأصبح « مصطفى كمال باشا » . ثم عاد الى اسم « الغازى مصطفى كمال » عندما صدر قانون إلغاء الألقاب عام ١٩٣١ ، وبعد ثلاث سنوات حدثت عاصفة تغيير الأسماء جملة فى تركيا ، فأصبح اسمه « أتاتورك »

ولكنه عاد فأضاف اسمه إلى كمال ، فانتهى إلى أن يكون « كمال أتاتورك » .

ولم يكن كمال أتاتورك وحده ، هو الذى أدرك التبديل الكثير اسمه . فقد كان الاسم الأول لستالين « يوسف فيزار يونوفيتش » ثم اطلق عليه لينين اسمه الحالى ، ومعناه الصلب . وكان اسم هتلر « هيدلر » ، ثم عدل . ولا يزال بعض أقارب به يطلقون عليه اسمه القديم .

وستالين أكبر هؤلاء الحكام سناً فقد ولد عام ١٨٧٩ . وولد أتاتورك بعده بعامين ، وكذلك ولد فرانكو فى نفس السنة أو بعدها بقليل . وولد ديفاليرا عام ١٨٨٢ ، وولد موسولينى عام ١٨٨٣ . وولد هتلر عام ١٨٨٩ . وأما تشرشل فهو أكبرهم جميعا سناً إذ ولد عام ١٨٧٥ ، فهو يبلغ السبعين من عمره الآن .

ونعود من هذا الاستطراد إلى قص سيرة فتانا الصغير . .

نقل الكاتب الألمانى داجوبرت فون ليكوش عن مذكرات أتاتورك ما يأتى :

« أتذكر حادثاً واحداً من حوادث طفولتى الأولى . ولكنه لن يغيب عن ذاكرتى . فقد انطبع فيها ، وترك أثراً لا يمحى ولا يندثر لأنه يتصل بأول خطوة خطوتها نحو المدرسة فى فجر الحياة

فقد اختلف أبى مع أمى فى المدرسة التى ينبغى أن ألتحق بها .

وكانت أمى محافظة متمسكة ما استطاعت بالتقاليد الموروثة التى نشأت عليها . وكانت سيدة ورعة تميل بفطرتها إلى الهدوء وتؤثر الحياة اللينة الساكنة . ومع هذا لم يكن فى طوق أحد أن يردها عن رأى من آرائها فى الحياة المتصلة بعادات المجتمع الذى تعيش فيه . . كانت أمنيتها العظمى أن ترى ابنها تلميذاً فى مدرسة دينية إسلامية

«ومما لا ريب فيه أن اهتمام أمى بالمدرسة التى أتلقى فيها تعليمى كان عن فهم لها بخطورة هذه الخطوة . فهى بدء حياة جديدة لى تقتضينى القيام بفروض دينية هامة تبلغ عندها مبلغ القداسة . وكان على إذا بدأت تعليمى الدينى أن أتطهر ، وأظهر الورع . وأخرج من طفولتى لأنضم إلى زمرة المؤمنين من أشياخ الدين .

«أما أبى فكان رجلا حر الفكر ، يقاوم شيوخ الدين ، ويؤيد الأفكار التى تتسرب من الغرب . وكانت أمنيته أن يرى ابنه ملحقاً بمدرسة عالية . وكان الظفر فى النهاية لأبى بعد أن استعان بحيلة بارعة . فقد تظاهر فى بادىء الأمر بالإذعان لرغبات أمى ، ووافق على إرسالى لمدرسة السيدة « فاطمة مولا » أشهر مدارس الدين إذ ذاك . وفى صباح اليوم الذى فرض علىّ أن ألتحق فيه

بمدرستى الجديدة ، استيقظت أمى فرحة سعيدة ، وقدمت لى ثيابا بيضا ، ووشاحا مزركشا ووضعت على رأسى عمامة أحكمت طياتها ووضعت بيدى عصا صغيرة مذهبة .

« وكما كان متبعاً ، وصل شيخ المدرسة إلى المنزل يحف به نفر من تلاميذه . فصلى ، ودعا ، وتقدمت أنا أقبل يده فى خشوع ثم قبلت يد أبى ، ويد أمى وسط تهليل رفقائى الجدد ، وخرجنا جميعا نطوف الشوارع فى موكب حافل حتى وصلنا إلى المدرسة التى كانت متصلة بمسجد يجاورها .

« وما أن أتممنا صلاة الجماعة حتى أدخلنى إلى غرفة خاصة خالية من الأثاث تقريباً ، وأخذ يشرح لى آيات القرآن الكريم .

« وبعد ستة شهور أخرجنى أبى من هذه المدرسة فى غير جلبة ولا ضوضاء ، وسلمنى إلى معلم متقدم فى السن كان يدير مدرسة ابتدائية تعلم وفق المناهج الغربية . ولم تمانع أمى فى إخراجى من مدرستى القديمة ، فإنها أرادت أن تفرح مرة أخرى بحفلة التحاق بمدرستى الجديدة »

وكان عمر مصطفى سبع سنوات فى ذلك الوقت

وهكذا بدأ حياته ، والصراع فى طفولته على أشده بين القديم والجديد ، وقد ترك هذا الصراع فى نفسه أعمق الآثار . .

● ● ●

وما أكثر ما يشقى الآباء من أجل أبنائهم . وما أكثر ماينسى الأبناء .. ولكن لعله دين يرده الآباء إلى أبنائهم دون أن يجهدوا أنفسهم كثيرا فى النظر إلى وراء .. إلى ما كان فى أيام تربيتهم ، وما صحبها من مشاق .

كذلك كان شأن على رضا .. وجد دخله من وظيفته المتواضعة لا يتكافأ وما يحتاجه ابنه من نفقة ، فترك هذا العمل ، واشتغل تاجر أخشاب . ويظهر أن ما تعوده من راحة فى عمله الحكومى ، وما أقبل عليه من جهد فى عمله الحر ، أثر على صحته تأثيرا مضنيا فمرض مرضه الأخير ، ورحل عن الدنيا ولما ير ابنه يخطو إلى نهاية دراسته .

اضطرت الأم إلى أن تغادر سالونيك مع صغيرها وطفلتها إلى منزل أخيهما . وكان مزارعا يفلح الأرض فى قرية قريبة من المدينة .. وهناك فى وسط الحقول نسى مصطفى المدرسة ، والعلم ، وأقبل على حياته الجديدة : يرعى الماشية ، ويتسلق الشجر ، ويغتسل فى النبع ، ويعيش كما يعيش صبيان القرية فى أحضان الطبيعة الطلقة السخية .

حرم مصطفى من العلم عامين كاملين ، حتى بلغ الحادية عشرة

من عمره . ولكن عوده نما ، وساعده اشتد ، ونعم بحرية لم يكن يألفها فى سالونيك ..

وأخذت أمه زبيدة تراقب غلامها ومصيره ، فى حزن ، ولكن فى أمل . رأته يكتسب خشونة الفلاحين ، ورأت طباعه تتحول من السماحة إلى الصلابة . فعزمت على أن تخلصه من هذا المحيط . وكانت لها أخت على شيء من الميسرة ، رضيت أن تنفق على مصطفى فى المدرسة ، ولم يلبث الغلام أن عاد من جديد يتعلم !

وفى المدرسة حدث حادث تافه ، ولكنه كان من المناسبات الصغيرة التى تترتب عليها نتائج كبيرة . تشاجر مع أحد زملائه ، وأقبل مدرس اللغة العربية يفصل فى المشاجرة ، بأن انهال على مصطفى ضربا دون أن يحقق سبب المشاجرة . وأحس مصطفى أنه ظلم ، وأيقن أنه لا يستطيع أن يبقى فى هذه المدرسة لكى يحتمل ظلما جديدا .

عاد إلى البيت ، وقص على أمه ما حدث ، وأنبأها بتصميمه على ترك هذه المدرسة . فحدثت مشكلة حلها عمه ، بأن اقترح أن يلتحق الفتى بالمدرسة العسكرية بسالونيك ، وهى معهد للعلوم الحربية أنشأه السلطان هناك . وبنى العم اقتراحه على أسباب أهمها أنها مجانية ، وثانيها أن دقة النظام فيها ستكبح من جماح الفتى ،

وترده إلى الطاعة والنظام من جـديد . ثم ان مستقبلها واضح محدود الهدف .

قص مصطفى كمال ما حدث بعد هذه القطيعة للدرس والمدرسة قال : « كنت قد تعرفت بجارى الضابط قدرى ، وكان لهذا الجار ابن يتلقى علومه فى الكلية الحربية . وكنت شديد الاعجاب بثياب هؤلاء الطلبة الأنيقة، بل كنت أحسد أحمد — كلما التقيت به — على زيه الجميل . وكذلك كلما التقيت فى الطريق بضابط يسير مرتديا ثيابه الزاهيـة الخلابة أقف مبهوتا ، وألاحقه بنظرى . وما أن غادرت المدرسة التى كنت فيها حتى صممت على أن أدخل الكلية العسكرية لأصبح ضابطا أزين جسمى بالملابس العسكرية البديعة »

وعارضت زبيدة فى التحاق فتاها بهذه المدرسة . فهو سيبتعد نهائيا عن المستقبل الذى رسمته له ، فلن يصبح شيخا وقورا من رجال الدين . كما أن فى الحياة العسكرية من المخاطر ما لا يطيق احتماله قلب أم . ولكنها وجدت نفسها أمام الأمر الواقع كما يقولون . فقد لجأ مصطفى إلى صديق لوالده من الضباط ، الذى توسط لالحاقه بالمعهد الذى يريده . وكانت فراسة عمه صادقة . فقـد صادفت الدراسات العسكرية هوى فى نفس التلميذ . فمـا أسرع ما فاز باعجاب أساتذته .

وفى هذه المدرسة أضاف أحد المدرسين إلى اسمه الجزء الثانى وهو كمال . فأصبح من ذلك الوقت مصطفى كمال .

ومما يذكر عنه فى هـذا الدور من حياته أنه كان نفورا من زملائه التلاميذ لا يختلط بهم ، ولا يشترك معهم فى جدهم وهزلهم. وقد حاول نفر منهم أن يتألفوه ، فقال لهم فى حدة الغضوب :

« انا لا أريد أن يكون شـأنى كشأنكم . بل سأهيئ من نفسى شيئا مذكورا »

وما أن بلغ السابعة عشرة من عمره حتى أنهى هـذه المرحلة من الدراسة والتحق بالكلية الحربية العليا فى مناستر .

وكان جو هـذه المدينة مشبعا برائحة الحرب وغبار المعارك . فقد كانت الجيوش التركية تمر بها لتلقى بنفسها فى أتون الثورات البلقانية التى لاتنقطع ، محاولة أن تدرأ عن الامبراطورية المحرمة عوامل الفناء التى تأكل جوانبها

وفى مناستر كان يلتقى دعاة التجديد والناقمون على الادارة الحاكمة ، والجميع ينادون بالاصلاح ويطالبون به فى ثبات ودأب .

وعنهم أخـذ مصطفى كمال آراءه الثورية ، فتفتحت نفسـه ، وتحرر ذهنه ، وغدا كائنا يحس لحياته بمعنى ويشعر أن له فى هذه الدنيا رسالة .

وكان فى أوقات فراغه يأتى إلى سالونيك ، وقلما كان يلتقى بوالدته ، لأنها تزوجت من تاجر روسى . ولم يقر مصطفى هذا الزواج ، ولذا ظل مدة من الزمن كارها للزوج متباعدا عن الأم .

ولكن رحلاته إلى سالونيك لم تكن تخلو من فوائد . فقد تعرف ببعض الرهبان الدومينكان ، فأخذ يتعلم منهم اللغة الفرنسية ، وتصادف أن كان من بين أصدقائه ضابط اسمه فتحى ، تابع مع مصطفى دراسة هذه اللغة لأنه كان يجيدها . وتدرج الصديقان من الدروس الابتدائية إلى مطالعة أمهات الكتب الفرنسية . . . وأى كتب تلذ للشباب فى هذا السن ، وفى مثل ظروف الشباب التركى إذ ذاك غير كتب فولتير وروسو ، واقتصاديات ستوارت ميل وهوبز . ومما زاد فى شغف هؤلاء الفتيان بهذه الكتب انها كانت من محرمات العهد الحميدى . وكان تفرض عقوبة الحبس على كل من يضبط متلبسا بتهمة « إحراز » أحد هذه الكتب ، كأنها المخدرات أو المفرقعات .

وجرب مصطفى كمال مقدرته الخطابية بين جمع من زملائه ، فنجح ، واستطاع أن يستثير حماستهم ؛ وأن يجرى الدماء الحارة فى عروقهم وكأنها وقد اللهب . وكان موضوع خطبته الاشارة إلى هؤلاء الاجانب ـ وعلى الأخص الالمانيين ـ الذين

يتسيطرون على مرافق البلاد ؛ ووجوب التخلص منهم . والهجوم على سياسة السلطان ، ووجوب الحد من طغيانه .

وجرب مصطفى مقدرته فى الكتابة أيضاً ، فإذا القلم يطاوعه ، وإذا به يسطر مقالات فى شرح الحرية ومعانيها ، ونقد المعاهدات الجائرة التى كانت تكبل السلطنة . وما أكثر ما استعان بالشعر وبالجمل الحماسية فى تنميق كتاباته .

●●●

وانتقل مصطفى كمال إلى مرحلة جديدة من مراحل دراسته العسكرية . فقد اختير مع بعض المتفوقين من زملائه ليلتحق بمدرسة أركان الحرب فى الاستانة .

ولم تكن سالونيك التى نشأ فيها إلا ميناء صغيراً ؛ لا يؤبه له . كما أن مناستير التى قضى فيها صدر شبابه ، لم تكن إلا مدينة من من مدن الاقاليم لم تنل من زهو الحضارة إلا أيسر نصيب . وما كاد الضابط الشاب يشهد العاصمة العظيمة حتى بهرته أضواؤها ، وأذهلته ضوضاؤها . ولكنه لم يستغرق لهذا البهر ، ولا هذا الذهول طويلا . فسرعان ما أفاق ؛ وسرعان ما أخذ يعتاد على هذا المحيط الجديد . ولم يلبث أن ألقى نفسه فى أحضان هذه الحياة الجديدة التى أقبل عليها ، وأقبلت عليه ، اقبال مشتاق لمشتاق .

شرب خمر العاصمة ؛ ولعب القمار على موائدها ، وعرف نساءها . ولكنه لم يقع فى أسر هذه الموبقات فقد ألم بهذا كله ، ثم نأت به طبيعته العنيفة الثائرة عن أن يستسلم ويستذل لهذه الغوايات . ولكنها كانت متعات الفراغ ، وجمحات الشباب ، كلما فرغ من كل شيء جاد .

واصل فى معهده الجديد حياة الجد التى عرف بها فى مراحل دراسته العسكرية . وفى تركيا يستطيع المجد أن يصل إلى ذروة العظمة . إذ لم توجد فيها طبقة من الارستقراطيين تحتكر المناصب الرفيعة . كما كان الحال فى معظم الدول الاوربية . ولكن كان فيها طبقة من النابغين أو المغامرين هى التى تسبق إلى الصدارة مزاحمة مدافعة بالمناكب وكانت الكفايات التى تؤهل للتقدم تتناسب دائما مع طبيعة السلطان الحاكم . فأما فى الميدان العسكرى، فكانت الجرأة وحدها هى سند التقدم . وأما فى الميدان السياسى فكانت المهارة فى المؤامرة والمداورة هى اجازة المرور إلى حظوة الحضرة السلطانية الهمايونية .

وهكذا لم يكن ميلاد مصطفى كمال من أسرة متواضعة حاجزاً يحول بينه وبين أن يتقدم ، وأن يرصد أكبر المناصب لكى يتخذها هدفه وغايته .

طريق من الشـــــوك

— ١ —

الجمعية الصغيرة

فى مدرسة أركان الحرب ، و بين هذا الشباب الذى اكتمل حسه ، ونضج شعوره ، وجد مصطفى كمال يحترق بنيران السخط على الادارة الفاسدة التى تعيش بلاده تحت ظلها .

ولم يكن مصطفى الثـائر الوحيد . بل وجد كل من حوله من الشباب يحسون إحساسه ، ويشعرون شعوره ، وهم خـيرة ضباط الجيش النـاشئين ، الذين جمعتهم كفاءتهـم من أركان الامبراطورية فى مدرسة أركان الحرب بالاستانة .

ونفذت إلى هذا المعهد حرارة الوطنية ، فتألفت فيهـا جمعية سرية اسمها « الوطن » . سرعان ما وجـدت من يلبى دعوتها . وسرعان ما أخذ مصطفى كمال يقوم بدوره فيها . فأخـذ يكتب

النشرات الحماسية المتلئة بالانتقاد المر فتنتقل من يد إلى يد ، وتشيع بين شباب الحربية آراء التحرر من الظلم الجاثم بكلكله المثل في السلطان ، كما كانت تحض على كراهية رجال الدين الذين استغلوا مكانتهم الروحية لدى الشعب من أجل دنياهم ، وانتشرت في البلاد الدروشة والشعوذة ، تذيع الخرافات بين الشعب، وتقلب الاسلام ــ دين التحرر والارتقاء ــ إلى رموز وطلاسم تقربه من الوثنية .

أقسم الاعضاء المنضوون تحت لواء جمعية الوطن على أن يعملوا ما وسعتهم الحياة لتحطيم الطغيان ، وإحلال الحكم الدستورى الذى يشترك الشعب في مسئولياته حتى يتخلص من ظالميه ، و يتخلص قبل كل شيء من أشياخ الدين ، ومن الحجاب ونظام الحريم .

ووصل أمر جمعية الوطن ، التى وصل مصطفى كمال إلى زعامتها لعلم السلطان ، فأصدر أمره بمراقبة أعمالها والقضاء عليها . وانتهى الطلاب من دراستهم ومنحوا راحة بضعة أسابيع يقضونها كيف شاءوا قبل أن يلتحقوا بوحداتهم كضباط فى الجيش العثمانى . ولم يضع مصطفى هذه الفترة ، فقد استأجر غرفة صغيرة اتخذها مكتبا ليدير منه أعمال جمعية الوطن و يكتب نشراته السرية الملتهبة

وأشعاره الوطنية بعيداً عن رقابة الجواسيس . وكان زملاؤه يجتمعون فى المنازل الخاصة ، وفى الغرف الخلفية فى القهاوى حذرين من ملاحقة عيون عبد الحميد لهم ولكن أنى لهم أن يفلتوا من مكر الثعلب الأحمر ! !

بدأت جمعية الوطن فى دورها الجديد تدرس أساليب الثورة العملية ، من تحضير خطط واحكام تدابير واعداد صيغ لقسم عظيم وتجارب يمتحن بها الاعضاء الجدد . كل هذا والاعضاء لا يعلمون أنهم مراقبون مراقبة دقيقة ، وأن من بينهم واحداً هو أحد الجواسيس عليهم ، وكانت المراقبة تنتظر حتى تضبطهم متلبسين بالجريمة . وبينما كان جميع الاعضاء يفدون إلى مكان اجتماعهم بناء على موعد سابق ليقسموا قسمهم الاخير ، انقض عليهم الشرطة وساقوهم إلى السجن الأحمر فى القسطنطينية ومن بينهم مصطفى كمال .

وكان مفروضا أن توقع أشد العقوبات على هؤلاء الشبان المتآمرين ، ولكن حدث لحسن حظهم أن رضا باشا مدير مدرستهم تقدم إلى السلطان ليخفف من جسامة التهم الموجهة لهم . وكان اسماعيل باشا المراقب العام مصمما على أن يطلب لهم أقصى جزاء يوقع على أمثالهم ، وكثيراً ما قال للسلطان : « إذا لم تتمكن البلاد

من الاعتماد على الجيش فعلى أية قوة إذن تعتمد؟ وإذا كانت روح الثورة قد تغلغلت فى نفوس الضباط ، فلاحد لما تنتظره الدولة من ويلات » . واشتد المراقب العام فى حملته على جمعية الوطن وفى إغراء السلطان بالتنكيل بأعضائها بعد أن علم أن مدير مدرستهم تقدم بالوساطة ، ولكن السلطان كان ذكيا ففطن إلى أن مبعث هذه الحملة، الخصومة الشديدة التى كانت ناشبة بين المدير والناظر ، فتريث .

وسمعت أم مصطفى كمال السيدة زبيدة بأن ابنها نزيل السجن وأنه مهدد بأعظم الاخطار ، فأسرعت إلى العاصمة وحاولت أن تأخذ إذنا برؤية ابنها ولكنها لم تستطع ، وأسعفتها غريزة الهدوء التى جبلت عليها فاستسلمت لمشيئة الاقدار ، ولجأت إلى الدموع تريقها من عينيها حتى ابيضتا من الحزن وهو كظيم .

وأخيراً أمكن رضا باشا أن ينال من السلطان حلا وسطا فأصدر السلطان إرادة «سنية» بنفى الضباط فى أنحاء الامبراطورية على ألا يعودوا ، وأن ينفذ هذا الحكم فى مدى أربعة وعشرين ساعة .

— ٢ —

أيام دمشق

قضى مصطفى كمال ثمانيــة عشر يوما فى البحر قبل أن يصل إلى دمشق التى شاءت ارادة السلطان أن تـكون منفى .. وفى هذه الأسابيع الطوال التى يسير فيها إلى بلد لا عهد له به ولسبب يشغل ذهنه ويستولى على لبه . فكر الشاب وهو بين يدى الماء والسماء فى نفسه وفى بلاده وكان رأســه يحتشد بشتى الآراء والخطط ، حتى إذا خيــل له أن الأمل المرقوب ينتظره جابهته حقيقة ما هو فيـــه بمرارتها فيرتد ابتسامه كمدا ، وأمله سخطا . ولـكنه مع هذا لم ييأس . صاحب فى رحلته الطويلة الشاقة نفسه، فـكانت خير رفيق يؤنسه ، وشر رفيق يقلقه كانت تصفو كصفحة البحر الذى يمتد أمامه حتى يلتقى بالسماء ثم تثور كالبراكين الهائجة التى زعموا أنها تسكن بعض أنحاء الدنيا .

وأذن الله للجارية أن تشهد اليابسة ، ولأسـيرها أن يلقى

بنفسه فى أرض هى أقرب الأرض إلى مهبط عثمان ، وأبعد الأرض عن أمانى المسافر .

وخطر له خاطر ..

أليست دمشق وما حولها من بلاد سوريا وفلسطين جزءا من الامبراطورية العثمانية ، ويهم أهلها أن يخلصوها من سوء ماتعانى؟ لم لا يعمل معهم ، ولم لا يبث فيهم دعوة الثورة ، ويحضهم على معاونته فى حركته ..

راح يلقى إلى العرب بأمانيه ، ويذرع هذه البقاع داعيا فى خفية ولكنه فجع فى مشروعه الجديد .. فقد وجد أهل البلاد لا يحفلون بتركيا ، بل كثرتهم تبغضها أشد البغض .. وجدهم ثائرين ، لا من أجل سلطنة العثمانيين ، ولكن من أجل حريتهم هم ، واستقلالهم هم .. وأدرك تماما أن نفوذ الخلافة الدينى لم يعد يقوى لكى يكون رباطا يجمع هذه الشعوب فى سلك واحد . والترك عنصر تمتع بالاستقلال ، ومن حقه أن يرقى كما يشاء . والعرب عنصر « آخر » أذاع فى الدنيا نور الحرية ، ومن حقه أن يعيش ـ على الأقل ـ مستقلا . هذا هو إيمان البلاد التى هبط فيها مصطفى كمال . ومهما أوتى من براعة وفصاحة ، فلن

يستطيع أن يقنع شعبا تواقا إلى حريته ، أن ينصرف عن أمانيه ، ليعاون غاصب حريته فى وقت محنته .

ومن هنا .. من هذه الزيارة بدأت آراء الضابط الشاب تتغير وتتعدل . بدأ يفهم تركيا على أنها رقعة الأرض التى يعيش فيها الأتراك . لا التى يعيش فيها كل مسلم . بدأ يعتقد ألا خلاص لتركيا مما تعانى ، إلا إذا شغلت بنفسها عن غيرها ، فما كسب الشعب التركى من هذه الأملاك الشاسعة غير الحروب ثم الحروب وما يسبقها من متاعب وما يتبعها من هموم وما يحيط بها من أطماع ومشاكل .

كانت زيارة دمشق مؤذنة بتطور خطير فى نفسية الشخص الذى قدر له أن يتزعم الأتراك ، وأن يحدد مصيرهم .

وعلى ضوء هذه الزيارة تستطيع أن تفسر النزعات الحادة التى تمخضت عنها الحركة التركية فى فورتها الأولى ، والتى انتهت إلى القاء تركيا فى أحضان أوروبا ..

تركيا أمة

والعرب أمة

بهذا آمن مصطفى كمال ، ولهذا عمل . وهذا كان أقصى ما يصبو إليه العرب من أمل .

●●●

تزامت الأنبـاء إلى مصطفى كمال بأن الحركة الوطنية يشتد ساعدها وأن أنصارها يتكاثرون ، وأن كثيرين من المحركين غادروا العاصمة إلى سالونيك ، حيث يكونون أكثر حرية ونشاطا فى العمل ، وأبعد عن المراقبـة الصارمة التى يطبقها جواسيس عبد الحميد فى عاصمته .

فلجأ مصطفى كمال إلى القلم والورق وأخـذ يكتب إلى زعماء حركة التحرير يقترح عليهم ، ويستنجد برأيهم ... وطال انتظاره لرد يتلقاه ، فـلم يظفر بشىء . فانتابته حمى القلق وصار يغلى فى باطنه كمرجل .

وأخيرا ..

دس واحد لا يعرفه فى يده ورقة فيها جملة واحدة :

« احضر إلى سالونيك سريعا ما استطعت »

وجن مصطفى كمال فرحا ..

ونسى أنه ضابط ولا يستطيـع مغادرة مقره بدون أمر وانه منفى مدى الحياة ، ومغادرة دمشق قد تؤدى إلى اعدامه . تنكر ، وغادر ثكنته وسافر بحرا يعلل نفسه بالرجاء .

ومن حسن حظه أن قائد حاميته كان يعطف عليـه فتستر على سفره ..

وصل إلى سالونيك وراح هناك يغشى الأماكن التى يظن أن النداء جاء منها . فوجد فى كل منتدى أناسا متذمرين من الضباط ومن غيرهم، ولكنهم جميعا اقتصروا على ترجمة سخطهم إلى كلام إذا أريد له أن يثمر قليلا تراجعوا ، ثم خافوا ، ثم أنكروا أنهم مستائين .

هم راضون كل الرضى عند اللزوم، ساخطون كل السخط إذا خلوا إلى أنفسهم وإلى منتدياتهم الخاصة .

وبعد أن كاد يدركه اليأس ظفر بمن دله على أن هناك جمعية وطنية جديدة ، تألفت باسم جمعية الاتحاد والترقى فراح يبحث عنها .

وفى هذه الفترة كان قد ذاع أن مصطفى كمال الضابط المنفى فى دمشق غادر مقره ، فما كاد يتصل بهذه الجمعية ويأخذ فى العمل معها مبديا آراءه وانتقاداته — وكانت عنيفة — حتى هبط عليه هذا الخطر الجديد وهو مطاردة السلطة له .

صدر أمر بالقبض عليه . ولم يجد بدا ، بعد معونات جمة قدمت له من أن يعود القهقرى إلى دمشق متخفيا كما غادرها ولما سئل رئيسه عنه قال انه كان فى احدى البلدان الفلسطينية ،

وقبل أن ينتهى التحقيق والتدقيق كانت حوادث هامة تقع على شاطىء البحر الاحمر فقــد أرادت انجلترا متعاونة مع مصر أن تحتل العقبة وتضمها إلى سينا ، وصدر الأمر لجيش سوريا التركى بأن يرابض فى العقبة فسار مصطفى كمال ضمن الحملة وبذا نجا من خطر محقق . .

— ٣ —

فى الليلة الظلماء

وصادف مصطفى حظ عظيم ، فقد صدر أمر لاتدرى كيف ، ولا لم ، بأن ينقل الى سالونيك ! .

وفى بلدته ، حيث ولد وحيث نشأ وحيث اتجهت آماله ألقى بنفسه فى يم من التفكير والتدبير تتضارب أمواجه .

حاول أن يجدد جمعية الوطن فلم يوفق ولم يجد بدا من أن يعمل وهو كاره مع جمعية الاتحاد والترقى لان برنامجها لم يكن ليغريه أو يرضى أطماعه .

وكان فى سالونيك عدد من زملائه الضباط منهم فتحى القدونى وكانوا كلهم أعضاء فى فرع الماسون الذى مكنت له صفته الدولية من أن تنمو فى داخله الحركات السرية . وكان قوام جمعيات الماسون اليهود الذين يطلبون انصافا.. دخل مع الماسون ، واشترك فى أعمال الاتحاد والترقى ، فوجد هذه (الاعمال) لاتتجاوز

المناقشات والمشادات الكلامية ، ومحاولات من اليهود لجذب الحركة الى تيارهم .

أسخطه كل هذا . فقد ازدرد من النظريات ما أشبعه ، بل ما أصابه بالتخمة . كان يريد خططا وعملا بحكم تدبيره . وحتى نظريات الاتحاد والترقى لم تكن لتقنعه .

لم يحترم رؤساءها وخاصمهم كثيرا . وما أكثر ما تشاد مع أنور وجمال وجاويد ونيازى وطلعت ، فقد كانوا هم الزعماء وكانوا هم الخاطئين فى حسابه . جابههم بالمعارضة ، وجرح أعمالهم أمام أتباعهم فكرهوه كما كرهه زملاؤه الضباط لاعتداده بنفسه وتسفيهه آراء غيره ..

واليهود أيضا لم يثقوا به ولذا لم يرق فى سلك الماسون .

وكان هذا الدور الذى احتك فيه بهذه الفئة كافيا لان يأخذ عنهم فكرة سيئة سمحت له فيما بعد ، وحين دانت له دنياه بان يحل جمعياتهم وأن يطاردهم .

ولم تكن حياته فى منزل أمه سهلة مريحة . ولكن احترامه لها كان يحمله على الاصغاء لانتقاداتها .

وحدث مرة أن كان مصطفى مجتمعا مع نفر من زملائه فى غرفة من غرف منزله أو على الاصح منزل أمه وزوجها الجديد

وقال فى مذكراته عن اجتماع تلك الليلة :

نام كل من فى المنزل الا خادمة سمعت همسا فى غرفتنا فجاءت تصغى ثم أسرعت الى سيدتها تقول لهـا إن مصطفى ونفرا من الضباط معـه مجتمعون بالطابق العلوى وهم يتحدثون أحاديث عجيبة مريبة ، وكانت أمامهم أكوام صغيرة من الذهب (وكان أغنياء مقدونيا يمدون الحركات العسكرية الوطنية بالمال طمعا فى أن يصونوهم من عبث العصابات)

وصعدت أمى الى حيث نجتمع وأخذت بدورها تتسمع،عرفت حقيقة ما نبحث فيه وعادت الى غرفتها فى هدوء وظلت متيقظة حتى انتهى الاجتماع . واذا بها تقبل على وتقول :

ــ اسمع يابنى .. أريد أن أعرف منك بصراحة حقيقـة ماتعمله . هل تتـآمر على السلطان وأنت تعـلم أن له قوة سبعة أولياء ؟

فقلت لها من غير تردد :

ــ أجل يا أمى نحن نتآمر على هذا الرجل الضعيف ، الذى لاتجتمع تحت أثوابه قوة سبعة أولياء كما تذكرين ونحن نحاول أن نجرده من بقية قوة لايزال متشبثا بها . واستميحك العذر اذا لم أذكر لك الحجج والاسباب التى تحملنا على القيام بما نحن فيه

فان لنا من شبابنا و وسطنا مايجعل آراءنا غير مفهومة لغيرنا .

و بعد فترة صمت قالت السيدة زبيدة لوحيدها :

— انى أخشى ألا يقدر لك النجاح يابنى . وأنت تعلم أنك وحيدى . ولا أستطيع أن أحتمل مصيبة فقدك . وإن مجرد اشتغالك بما أنت فيه يملأ فؤادى بالهم الثقيل سواء قدر لك النجاح فتغلبت على السلطان أو قدر لك الفشل فتغلب عليك !

فقال مصطفى :

— ولكن يا أمى أنا متضامن مع زملائى الذين أعمل معهم . و يستحيل على أن أتحلل من العهد ، ومن المواثيق التى أخذتها على نفسى . ولا أظنك ترضين أن أكون هزأة بين رفقائى ؟ .

فقالت الام الحكيمة فى تؤدة :

« أى بنى . احفظ عهدك ، فالرجل الذى يخون العهد يفقد قيمته حتى عند أمه . وانى لا أفهم من السياسة ماتفهم ، ولم أتلق من العلم ماتلقيت ، ولذا فانى أريد لك النجاح :

ثم تغيرت لهجتها فاكتسبت حزما زاده الوقار قوة وقالت :

« أجل يجب أن تنجح »

يقول مصطفى فى مذكراته :

« ومنذ تلك الساعة ، وأنا أشرك أمى فى تدابيرى ومؤامراتى كما أشرك أختى .



« السيدة زبيدة »

وكنت أجد منهما مايقوى فى ملكة النضال ويدفعنى الى الامام على الدوام ، غير هياب »

ومما يستحق الذكر أن انهماك مصطفى كمال فى مؤامرته ، لم يلهه عن واجباته العسكرية ، فكان يجمع بين الجد فى ذلك والنشاط فى هذه ففاز بثقة رؤسائه العسكريين كما فاز بتقدير النفر القليل الذى يرى رأيه السياسى لأن زعماء جمعية الاتحاد والترقى كانوا يقصونه عن اجتماعاتهم ويكتفون منه بأن يكون عضوا على هامش حركتهم فلم يأبه لهم وأخذ يعمل لحسابه الخاص غير قاطع صلته بهم .

مفاجآت

— ١ —

انتصار الثورة

لم يتوقع أحد أن يكون عام ١٩٠٨ هو العام الذى تثمر فيه جهود جمعية الاتحاد والترقى . ولـكن حوادث الانقلاب فى جميع أدوار التاريخ تتمخض عن مفاجآت عجيبة ..

سار نيازى على رأس قوة غير منظمة ولا مهيأة إلى جنوب مقدونية ، وهاجم قوة الحكومة وهزمها . وأذاع أنور بيانا فى شرق هذا الأقليم يعلن فيه الثورة . ومع أنه لم يجتمع لزعماء هذه الحركة أكثر من ثلاث مئة عضو يعتمد عليهم ، إلا أن عنصرا السرعة والمفاجأة وحدها هما اللذان سببا نجاح هذه الحركة فقد انضمت إليها القوات التى أرسلت لمقاومتها ، لأن الجيش التركى إذ ذاك كان فى حالة يرثى لها . لاتدفع أجور جنوده ولا

تعتنى به حكومة السلطان أية عناية كما رفضت جميع الامداد التى أرسلت لانقاذ الموقف أن تحارب

وهكذا أمسى عبد الحميد وأصبح فوجد نفسه مجرداً من القوة ، فأعلن الدستور «الذى كان من أعز رغباته» وعاد نيازى وأنور الى سالونيك فاستقبلا استقبال الأبطال المنقذين . ووقف أنور فى شرفة فندق «المبس بلاس» وأذاع على الجماهير الحاشدة تفصيل النظام الدستورى الجديد

وصحب اعلان الدستور اعلان الحريات فوفدت جموع من عظماء تركيا وساستها ووزرائها السابقين الذين نفاهم عبد الحميد طوال عشرين سنة ، وما أن وصلوا حتى قبضوا بأيد من حديد على أزمـــة الأمور ، وأقصوا أنور ونيازى ومن معهما . وقد عاد نيازى الى البانيا حيث كان ينتظره الاغتيال فاختفى من الميدان وأما أنور فقد عجل بقبول منصب عرض عليه ، وهو أن يكون ملحقا عسكريا بسفارة برلين

■ ■ ■

كانت هذه الحوادث هزيمة « للثعلب الاحمر » لايستطيع احتمالها فظل صابرا يترقب الحوادث ومن حسن حظه أن الحـكام الجدد وهم الذين عاشوا السنوات الطوال فى أوربا ، شرعوا فى

مقاومة تقاليد البلاد ، واغراقها في سيل المدنية الغربية ؟ لم تقبله ووجدت فيه خروجا على الدين فالى من يتجه سواد الشعب .. الى السلطان .

وحدث « فجأة » أن التقط الفتيل المهيأ شرارة سابحة في الجو فاشتعل .

أطلق مجهول الرصاص على حسن بك فهمى محرر احدى الصحف الدينية ، فاخذ اغتياله مظهرا خطيرا ، عاون المعارضة على الظهور في الميدان .

أخذ الجنود وهم ممثلو روح المقاومة المسلحة ، يطلقون النار على ضباطهم من أنصار التجديد الغربى ، واستمرت حركة اعدام الضباط يومين كاملين ، والهتافات تتصاعد من كل مكان بحياة السلطان ، وسقوط تركيا الفتاة .

وهكذا صح ماقيل من أن ثورة سنة ١٩٠٨ قام بها الضباط دون الجنود ، وثورة ١٩٠٩ قام بها الجنود دون الضباط .

استنجد رجال تركيا الفتاة بجيش مقدونيا ، وكان على رأسه محمود شوكت ، فزحف الى العاصمة وأسمى جيشه « جيش الخلاص » وفى ليلة احتلاله للعاصمة كانت السجون مليئة بأنصار عبد الحميد ، وفى اليوم الثانى كان عزيز على المصرى يقود

عبدالحميد السلطان المخلوع الى سجنه الجديد فى فيلا ألاتينى بعد أن حاصر يلدز واستولى عليه

ومما يذكر عن السلطان أنه قال وقرار الخلع يعرض عليه « لامرد لقضاء الله ، ان هذا القضاء ليملأ قلبي غما لأنى عشت طول حياتى لاأبغي غير مصلحة شعبي ولكن ارادة الأمة فوق كل ارادة .. أجل ينبغى أن أخضع لارادة الامة فهى فوق كل شىء »

يقول فون ميكوش

واصطحب السلطان عددا من نسائه وقد وجدن فى هذه الرحلة شيئا من العزاء والمتعة ، فقد عشن طول حياتهن داخل الغرف ووراء الأسوار ، وكانت رحلتهن هذه سببا فى ركوبهن القطار للمرة الاولى

وفى المنفى سمع السلطان ونساؤه اطلاق المدافع تعلن ولاية السلطان رشاد العرش

■ ■ ■

وهنا نبحث عن مصطفى كمال لنعرف دوره فى هذه الحوادث الجسام .

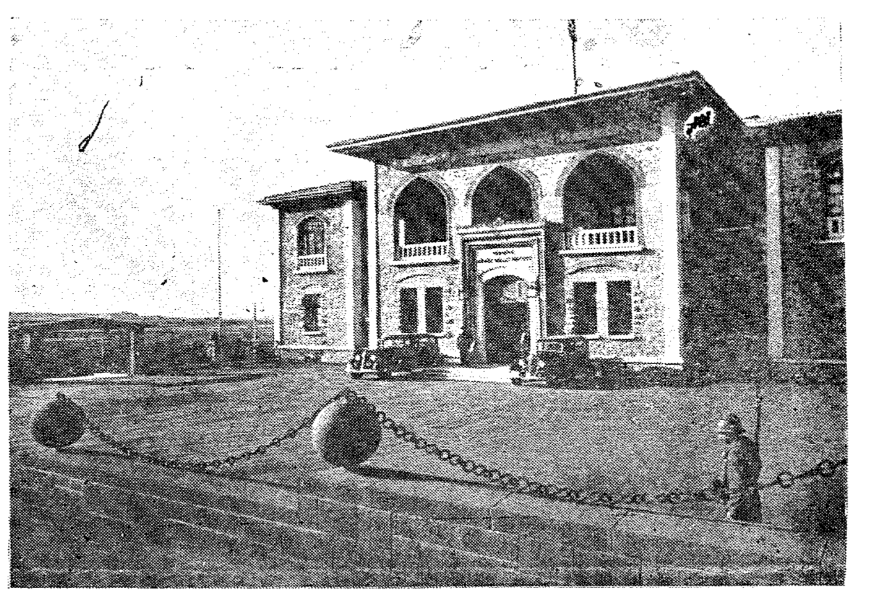
يقول ارمسترنج :

فى أثناء ثورة سنة ١٩٠٨ لم يكن له دور يذكر لانه ، وهو

فالرجل العسكرى بفطرته ، لم يكن أحمق ليشترك فى مقامرة كهذه
ويقول :
عندما أعلن أنور الدستور فى سالونيك كان مصطفى كمال واقفا منزويا مع نفر من زملائه الضباط لم يلاحظه أحد
ويقول فون نيكوش :
فى جلسة من جلسات المؤتمر استأذن عضو الرئيس فى أن يقول كلمة ، فسمح له . . قال . .
ـ هل من مبرر لوجود جمعية الاتحاد والترقى ؟
ـ لقد كانت فى تكوينها جمعية ثورية ، وقد انتهت الثورة وفزنا بالدستور بعد كفاح شديد ويستلزم النظام الدستورى أن تنتقل إلى الهيئة الشرعية التى تتولى الامر ، فلا موجب اذن لبقاء دكتاتورية هذه الجمعية والا فاننا نسمح ببقاء نظام هو استمرار لعهد عبد الحميد ، ولذا فانى أقترح حل جمعية الاتحاد والترقى .
فصفق الأعضاء للمتكلم طويلا ، وكان مصطفى كمال .
وعقب هذه الحوادث ظل مصطفى كمال يتابع نشاطه العسكرى ويثقف نفسه ثقافة حربية متينة . وفى سنة ١٩١٠ عين ملحقا عسكريا ببعثة عسكرية سافرت الى فرنسا وهناك شاهد للمرة

الأولى المناورات العسكرية فامتلأت نفسه حماسة ورغبة فى الاصلاح

وعند عودته عين مديرا للمدرسة الحربية بسالونيك ، فادارها أحسن إدارة ولكن هذا كله لم يقنعه ولم يرضه . كان يشعر فى نفسه بأنه فوق هؤلاء الذين رفعهم الحظ . فوق أنور الذى عاد من برلين ليكون وزيرا مع جمال وطلعت ، وقد كونوا دكتاتورية ثلاثية تحكم البلاد بيد من حديد .



حارس « الشعب » الأول — دار المجلس الوطني الكبير

— ٢ —

طرابلس

سئم مصطفى كمال السياسة والسياسيين ، فلم يكن يجد منهم عقولا تفهم وغيرة تحفز ، ولم يكونوا يجدون منه إلا ضابطا عنيداً لا يمكن أن يصل فى اقتراحاته السياسية إلى مستوى أنصاف الساسة الذين يدبرون الأمر . فكرههم وكرهوه ، وانصرف عنهم ينتظر مغامرة يلقى بنفسه فيها .

وقد عاوتته الاقدار قبل أن يصل سأمه إلى غايته ، ففى شهر اكتوبر سنة ١٩١١ بدأت حرب إيطاليا مع طرابلس، فما أسرع ما رافق زميلين وجامعهما إلى مصر حيث وجد من المصريين من سهل له اختراق الحدود الغربية إلى طرابلس وكذلك صنع أنور وفتحى ، وبذلك اجتمع فى هذا الميدان برجل الحرب الطرابلسية عزيز المصرى والضباط الثلاثة الاتراك .

ويعنينا أن نشير من تاريخ هذه الفترة إلى قسم يهمنا وهو الصلة بين مصطفى كمال وأنور .

كان أنور رئيسـا لمصطفى مع أن ثانيهما كان أكبر سـنا ، وكان أنور يحيط نفسه ببذخ لايطيقه مصطفى إذا كان فى الميدان وكان يبدى من الآراء ما يجعل التفاهم بين الرجلين صـعبا ، ثم متعذراً ، ثم مستحيلا . كان مصطفى كمال فيما مضى لا يلقى باله إلى أنور كثيراً ، فانقلبت صلته به فى طرابلس إلى احتقار وزراية ، اعتدادا منه بنفسه واستخفافا منه بآراء الآخرين .

ظلوا فى طرابلس الى أن جاءهم نذير جديد، ففى شهر اكتوبر من العام التالى (١٩١٢) نشبت الحرب البلقانية واضطرت تركيا إلى أن تستنجد بكل تركى خارج حدودها ، فأسرع هؤلاء الضباط يحملون معهم خلافاتهم إلى ميدان قتال جديد .

— ٣ —

سيد جديد

اشتد ضغط الثوار على جيش الحكومة فلم تر بداً من الصلح وشرعت فيه فعلا ، ولكن حدث أن هبط أنور إلى العاصمة التركية وعلم أن من الشروط التنازل عن أدرنة . فنظم مظاهرة من الضباط ودخل إلى قصر الباب العالى ، فخرج وزير الحربية ليرى هؤلاء الشبان ، فكان الرد عليه رصاصة أردته قتيلا ، وقفز أنور إلى الشهرة ونظرت إليه البلاد كمنقذ جديد .

واضطرت حكومة شوكت باشا ازاء الهزائم المتتالية إلى التسليم بالشروط التى رفضها أنور فكان جزاؤه الاغتيال . وصادف أنور حظ حسن فكان على رأس جيش يحاصر ادرنة ، وفى شهر يوليو سلمت المدينة له و بعد قليل من الزمن اختير وزيراً للحربية وناتبا عن السلطان فى قيادة الجيش . وتعاون معه طلعت وجمال كما ذكرنا .

ونبحث هنا مرة اخرى عن مصطفى كمال فنجد أنه تولى قيادة فرقة فى شبه جزيرة غاليبولى أهمل امدادها ، فتكاثر عليها الأعداء

وهزموها هزيمة منكرة فتضاءلت قيمة مصطفى العسكرية ، فى نظر سواد الشعب الذى لم يكن يعلم أن إلاه الحرب نفسه لا يستطيع أن يظفر فى معركة وليست من ورائه قوة حكومية أو قيادة عليا منظمة يستند إليها .

وعاد مصطفى كمال إلى استنبول ليعيش مع أمه وأخته عاطلا عن العمل ، ولكنه كان يتربص ، كانت صلته بأنور سيئة وإن كان يجد بعض العطف من جمال باشا لاشترا كهما معا فى كره الالمانيين الذين يضعون أنوفهم فى كل مرافق البلاد وخصوصا الجيش . ولا سيما أن أنور دعا الجنرال ليمان فون ساندز لاصلاح الجيش وتجديد قواه .

وقد قال مصطفى محتجا على قدوم هذا الضابط الالمانى :

« إنه لحمق ، بل جنون مطبق أن نسمح للأجانب بالسيطرة على الجيش وهو عدة الحياة لنا .. يجب علينا نحن الأتراك أن ننهض نحن بجيشنا وإنها لاهانة للوطن كله أن ندعو ضابطا بروسيا ليتولى عنا تنظيم جيشنا » .

ولكى يتخلص أنور من عناده ومشاكسته عين فتحى وزيرا فى صوفيا ومصطفى كمال ملحقا حربيا معه . ويحسن أن ننبه هنا إلى الصداقة القديمة التى بين هذين الرجلين مصطفى وفتحى ـ لاننا سنعود إليها بعد حين .

— ٤ —

ونشبت الحرب

وبينا هو فى صوفيا أطلقت عبر الحدود فى الصرب الرصاصة التى أشعلت نيران الحرب العظمى وأتاحت للحلفاء فرصة مهاجمة الاملاك العثمانية . وكان منتظرا أن يستدعى مصطفى كمال ليأخذ مكانه فى القيادة ولكنه أهمل فأبرق إلى أنور يستحثه فجاءه الرد بأن يبقى حيث هو ، فأرسل يستنجد بأصدقائه ومعارفه ولكن دون جدوى . ومضت الأسابيع وزادت فأصبحت شهورا ، ولم يستطع مصطفى كمال أن يضبط أعصابه أكثر مما فعل . ففى ١٥ فبراير سنة ١٩١٥ حزم حقائبه وغادر مقره بدون إذن قاصدا العاصمة .

ولم يكن أنور إذ ذاك فى القسطنطينية فقد سافر على رأس جيش إلى بلاد القوقاز لحرب الروسيين وكان رئيس أركان الحرب لا يأبه لخلافات أنور مع الضباط ، ولا سيما أن الموقف كان حرجا

فقد حاول الانجليز مرتين اقتحام الدردنيل وكان الجيش فقيرا فى الضباط الاكفاء فاستدعى مصطفى كمال وقدمه للقائد ليمان فون ساندز . فوكل إليه قيادة الجيش المرابط فى النصف الجنوبى من شبه جزيرة غاليبولى .

كان القائد الالمانى لا يرى بين الضباط الاتراك من يتصف بالمقدرة ، فكلهم رجال حرب فى مستوى متوسط ، إلا أن هذا الضابط الجديد الذى دفع إليه ليعمل معه كان من طراز آخر ، لا يبعث على الرضا الكامل ، لأنه كان عنيدا ، ولكنه يحمل على الاهتمام به والتفكير فيه و يضطر مجادله أخيرا إلى احترام آرائه .

كان مصطفى كمال صريحا . وكثيرا ما جرح موقف المانيا فى الحرب أمام القائد البروسى ، وكان كبرياؤه لا يقل عن كبرياء فون ساندز ، فاختصما مرارا . وانتهى الأمر بين الرجلين إلى أن وصف الالمانى صاحبه بأنه ضابط قدير بل زعيم ، ووصف مصطفى كمال صاحبه بأنه كان قائدا كأحسن ما يكون القائد . قال عنه : « كنا نختلف ولكنه بعد أن يصدر أوامره كان يترك لى الحرية فى تنفيذها بالطريقة التى تعجبنى » .



(الجنرال ليمان فون ساندرز)

نحو المجد

— ١ —

غاليبولى

كانت الأنباء التى ترد على قيادة الجيش التركى من القاهرة وأثينا تدل كلها على أن الانجليز على وشك الهجوم ، وأنهم حشدوا ثمانين الف رجل يعاونهم أسطول ضخم ليكونوا عدتهم فى اقتحام الدردنيل .

لم يدر فون ساندرز ماذا يصنع ، فان طول الساحل الذى تجب حمايته اثنان وخمسون ميلا ، والمنطقة التى يعمل فيها جبلية وفى استطاعة الانجليز أن ينزلوا جنودهم فى أية بقعة على الساحل . واستيلاؤهم على جبل من جبال شبه الجزيرة يعنى تماما سيطرتهم على الموقف ، ويفتح أمامهم الطريق إلى العاصمة

كانت القوة التى تحت امرته ستين الف رجل . فقسمها إلى

ثلاثة أقسام وظل ينتظر وهو أقرب إلى التشاؤم لأن هذا التقسيم قضى بأن تواجه وحـدة من وحداته فقط القوات الكثيفة التى قيل إن الانجليز يستعدون للهجوم بها .

وما أن عاد أنور من ميدان القوقاز وعـلم أن مصطفى كمال يتولى القيـادة على النحو الذى ذكرنا حتى أمر بأن تنزل رتبته فى الحال واضطر فون ساندرز لتلبية الأمر فعين مصطفى كمال قائدا لاحتياطى الجيش ، ونبه عليه بأن يكون مستعدا لمقابلة الانجليز عندما يتضح المكان الذى ينتظر أن يبدأوا به هجومهم .

وكانت القوة التى يقودها مصطفى كمال مكونة من أورطة من الأتراك واثنين من العرب . وكان تدريبها ونظامها وأحوالها جميعا فى حالة رثة تبعث على الاشفاق . فأقبـل ضابطها بهمة لا تعرف الـكلل على اعدادها لتواجه معركة من أقسى المعـارك ودرس منطقته ، وطاف بجميع أجزائها جيدا .

وفى ٢٥ ابريل بدأ الانجليز هجومهم وكان مقررا أن تنزل الوحدات الاسـترالية فى منتصف الجزيرة ولـكن تيـارا قويا اكتسح السفن التى تنقل الجيش من الأسطول إلى الشاطىء شمالا فنزلوا فى منطقة غير التى أريدت لها .

■ ■ ■

كانت غاية أنور من انزال مرتبة مصطفى كمال ألا يمكنه من تولى القيـادة فى معركة من المعارك ولـكن أبت الأقدار الا أن تتحقق رغبـة مصطفى كمال الذى كان يتحرق إلى خوض غمار الحرب ويخلف ظن وزير الحربية .

فبينما كان جنوده يقومون بمناورة بين التلال أتى جندى من صفه فصاح فيه مصطفى كمال :

ــ ماذا تصنع هنا ؟ فأجاب :

ــ الانجليز يهبطون على الشاطىء أمامنـا : وقد اضطرت طلائع المناورة إلى الارتداد .

.. وأين نزلوا

ــ فى برنو

فأصدر مصطفى أمره بمواجهة العدو والهجوم فورا .

السرعة .. السرعة .. السرعة

هكذا قال نابليون ، وهكذا صـاح مصطفى كمال وبذا أتيح النصر للرجلين .

لم يكن لدى مصطفى كمال اسـتعداد لخوض معركة كهذه فالمصور الحربى للمنطقة الذى لديه لم يكن وافيا . ومع هـذا بدأ العمـل . وزع جنوده وأقام أمام الأعداء الزاحفين خطوط دفاعه

وتمكن من ايقاف الزحف ولم يجد الانجليز بدا من أن يقيموا استحكاماتهم وأن ينتظروا . ووقف أمامهم الأتراك ومضت الأسابيع في حفر الخنادق وإقامة حواجز الأسلاك الشائكة وأخذت القوات المتحفزة تتبادل القذائف وكانت جثث القتلى تنتثر بين معسكرى الجيشين وتجتمع من فوقها الطيور ومن حولها الذباب فتملأ الجو بالأذى الكريه .

وكان مصطفى كمال أثناء هذه الفترة لا يكف عن الطواف بالخنادق ، والتحدث إلى ضباطه وجنوده . وحدث مرة أثناء جلوسه على حافة أحد الخنادق أن فتحت احدى بطاريات الأعداء أفواهها وأخذت تطلق النيران كالسيل . وكانت قذائف القنابل تهبط حول مصطفى وهو هادىء ساكن يجيب على الحاح ضباطه عليه بمغادرة مكانه بقوله :

— كلا . إذا اختبأت الآن فانى أضرب أسوأ مثال لجنودى ثم أشعل سيجارة وأخذ يدخنها كأنما القيامة لا تقوم من حوله .

وكأنما كان هذا الضابط الجبار محاطا بعناية خاصة . فقد حدث مرة وهو عائد من غاليبولى أن سقطت قنبلة على عربته فقتلت السائق ودمرت الطريق أمامه وخلفه ، ومع هذا لم يصب بأذى .

وكثيرا ، بل كثيرا جدا ، ما كان يمسك البندقية ويحارب فى الصف مع الجنود كما يحاربون .

وفى شهر يوليو اكتشف مصطفى كمال نقطة ضعف فى صفوف أعدائه فرسم خطة هجوم تقضى — إذا نجحت — باكتساح الانجليز وإلقائهم فى البحر وما أن علم أنور بالخطة حتى جرحها وسفه رأى صاحبها .

لم يطق مصطفى كمال هذه الاهانة فامتلأ غيظا وقدم استقالته محتجا بأن أنور يفسد كل شىء .

ولم يستطع القائد الألمانى أن يحتمل خسارة أحسن ضباطه فألح عليه حتى سحب استقالته ، بعد أن اضطره إلى أن يصغى لرده القاسى على تهجم أنور وعلى سياسته ، وحصل منه على تصريح بكل آرائه .

وازاء الحاح قواد غاليبولى لم يجد أنور بدا من أن يسحب اعتراضاته على مشروع الهجوم ، وما أن شرع فيه حتى أحاط به الاخفاق من كل نواحيه .

وزار أنور ميدان القتال وانتهز الفرصة من جديد فهنأ الجنود ، وأظهر لومه لمصطفى كمال فاستقال مرة أخرى ، وأصر على استقالته . فلما أحال عليه الجنرال ليمان من يقنعه بالعدول

اشترط شرطا واحدا ، وهو أن يتولى قيادة جميع وحدات الجيش، لا قوة الاحتياطى وحـدها ! ! وقد رد عليه كاظم رئيس أركان حرب الجيش وهو يسمع منه هذا الطلب قائلا :

— أهذا هو كل ما تريد ؟ !

— فأجابه مصطفى فى عناد و إصرار .

— وهذا أقل مما أستحق . ثم ألقى بالتليفون فى غضب .

وألح الجنرال ليمان على مصطفى بالبقاء وإزاء هـذا الالحاح قبل أن يظل فى مركزه .

وفى شهر يوليو كان الانجليز يدبرون هجوما حاسما . فقـد وصلت امداد وأسلحة وذخائر ، وزودوا بنوع جديد من السيارات الخفيفة لنقل الجنود .

وطلب الجنرال فون ساندرز امدادا فأرسلت له من كل مكان . وكما بدأ المعركة لم يكن واثقا من النقطة التى سيبدأ منها هجوم الانجليز فاضطر إلى أن يوزع وحداته وأن يظل مراقبا .

وفى ٦ اغسطس بدىء بالهجوم .

ونترك لموسوعات التاريخ الحربى ذكر تفاصيل هذا الهجوم ولكن يعنينا هنـا أن نذكر أن الانجليز كانوا يستميتون فيه ، وأن قيادتهم كانت تتلقى من الوزارة البريطانية البرقيات العنيفة

تستنكر البطء فى تحطيم المقاومة التركية وتستعجل القيام بهجوم حاسم .

وأدرك القائد الالمانى أن المركز حرج . وأن خطأ فى التقدير أو ترددا من أى نوع قد يسبب كارثة تضيع فيها غاليبولى ثم القسطنطينية . ولذا لم يتردد بعد ابتداء القتال من أن يوافق على رأى مصطفى كمال ، لا فى طريقة الدفاع ولا فى تنظيم الوحدات . ولكن فى أن يكون مصطفى كمال نفسه قائدا عاما للجيش كله يتصرف كما يشاء . وخصوصا بعد أن وصل كتشنر إلى غاليبولى .

ولم يتردد الجنرال ليان فون ساندرز فى أن يحقق بغية مصطفى كمال ، فقد وثق أنه رجل الساعة . فولاه القيادة .

وفى همة لاتعرف الكلل أخذ يدير رحى الحرب. وفى «انافارطه» صمد مصطفى كمال للانجليز فى استماتة عجيبة وأمكنه أن يوقف الهجوم . ورأى لكى يتفادى الاخطار التى تنتظره أن يرد على الهجوم بهجوم آخر .

وفى ساعة يأس من امكان التقدم . ولطول هذه الحرب صدرت أوامر الوزارة البريطانية إلى قوات غاليبولى بأن تنسحب . وتحت جنح الظلام ركبت بقايا الجيش المغير بوارجها . وتركت غاليبولى لاهلها . وكان رجوعهم فى ١٤ ديسمبر سنة ١٩١٥ .

— ٢ —

فى القوقاز وسوريا

نال مصطفى كمال لقب باشا واطلقت عليه الصحف بطل «انافارطه». ومنقذ الدردنيل والعاصمة . وبذا بلغت شهرته الاوج . وزاده نجاحه فى غاليبولى اصرارا على أن يتدخل فى السياسة . وأن يبدى آراءه ويفرضها بكل ما يستطيع من قوة ولاسيما أن الساسة كانوا فى نظره أقرب إلى « الفيران » منهم إلى الرجال .

بدأ حملته من جديد على الالمان . وكان يقول : إن كان قد قدر علينا أن نستعين بهم فليكونوا لدينا خداما لا سادة . وللتركى وحده الحق فى أن يتسيطر على بلاده ويدبر الدقيق والجليل من شئونها .

وكان فى حربه للنفوذ الاجنبى إنما يحارب أنور لأنه تحول بمعونة الالمانيين إلى دكتاتور يحكم بأمره .

أخذ يزور الوزراء ويعرض عليهم آراءه التى تتلخص فى

أن على تركيا أن تعتمد على نفسها وأن تلقى عن كاهلها النفوذ الألمانى . ولكن أحدا لم يصغ له ولم يقدر آراءه . فكان يحترق فى نفسه ويصب جام غضبه على الساسة والسياسيين .

ويروى ارمسترنج مثالا لما كان يلقاه مصطفى كمال فى هذه الفترة أنه ذهب مرة يزور نسيم باشا وزير الخارجية . وكان الوزير مشغولا فاستبقاه قليلا ، ولما فرغ استدعاه ، فقال مصطفى كمال وكان متشاغلا بالحديث مع أحد الأفراد : دع الوزير ينتظر حتى انتهى من كلامى .

ولما دخل عند الوزير أخذ يذكر له أن الجيش فى حالة رثة . وأن تقارير أركان الحرب كلها تزييف وخداع .. وأن .. وأن . حتى إذا انتهى من كلامه قال له الوزير فى هدوء :

— لقد أخطأت فى اختيار المكان الذى تدلى فيه بآرائك فأنت كضابط تستطيع أن تذهب إلى وزارة الحربية وتقول للمسئولين فيها ما تشاء .

فقال مصطفى كمال على الفور :

— ان ذهابى إلى وزارة الحربية معناه أن أذهب إلى الألمانيين لأجادلهم فى أنهم يسيئون إلى البلاد .

ثم خرج من عنده غاضبا كالقذيفة التى تنطلق وتخلف وراءها الدخان .

فراغ جديد .. وسأم وسخط . لم يكن أحد يريده . أو يستطيع التعاون معه . ولم يكن على استعداد للتفاهم مع أحد بأن ينزل عن بعض رأيه ويقبل البعض الآخر . فاما أن تؤخذ آراؤه كما هى ، واما أن يسخط ويصخب ويسب الساسة والسياسيين .

ولكى تتخلص منه الوزارة مرة أخرى عين مصطفى كمال قائدا للجيش التركى فى القوقاز .

■ ■ ■

أشرنا إلى أن أنور باشا كان يقود حملة تركية فى القوقاز ضد الروسيين . وكانت مؤلفة من مئة الف جندى ، وكانت خطته تقضى بتطويق الجيش الروسى ، واكتساحه إلى ماوراء الجبال . والخطة من الناحية النظرية بارعة ، ولكن أنور لم يكن الرجل الذى يعنى بالتفاصيل فأهمل دراسة المنطقة التى يحارب فيها دراسة دقيقة ، وأهمل حساب الزمن . فحاربه الشتاء كما حاربه الأعداء ، وعاد من الميدان إلى الاستانة ووراءه جيش محطم لا يزيد عدده عن اثنى عشر الف رجل . وقد وجد الروسيون فى احدى

البقاع ثلاثين الف جندى من الأتراك تجمدوا من الثلج !!

فالى هـذا الميدان ، ومع هؤلاء الجنود أرسل مصطفى كمال ليقود !!

وعلى الرغم من سوء الحال إلى حد لا مثيل له لم يقنط القائد الجديد ، فليس لديه وقت حتى للقنوط ..

انكب على العمل تعاونه أعصاب من حـديد كانت عدته فى حياته . وكان يتوقع أن يبدأ الروسيون بهجوم كبير فى ربيع سنة ١٩١٧ . ولذا أرسـل إلى العاصمة يصف الحال ويطلب امدادا وذخيرة وأدوية ومؤونة . ولكن أحـدا لم يتنازل حتى للرد عليه بالرفض . فقد كان سيد وزارة الحربية أنور باشا .

وكان الضباط قد تعودوا فى هذا الميدان على السرقة والاختلاس. ولم يكونوا يعرفون عن القائد الجديد شيئا ، فدعوه للاشتراك معهم فى انقاذ ما يمكن انقاذه لأنفسهم من أول الحملة . فكان رد مصطفى كمال عليهم أن أمر بشنق ضابطين ثبتت عليهما السرقة. وكان الكسول عنده كالخائن .. لا تهاون . ولا تكاسل . والسرعة فى العمل . هذا شعاره . وهو السلم الذى ارتقاه فصعد ..

عين رئيسا لأركان حربه أحد ضباط الحملة ، اسمه عصمت . وعين مساعدا له ضابطا آخر اسمه كاظم قره بكير . وجاء الربيع

وبدأت الحرب وسار مصطفى كمال فى طريقه إلى باطوم .

ومرة أخرى ساعد الحظ مصطفى كمال . فقد انفجرت فى روسيا براكين الشيوعية . وانسحبت جيوشها من جميع الميادين .

وجاءت الأوامر من العاصمة تطلب إرسال كل رجل وكل بندقية يمكن الاستغناء عنها لأن الانجليز كانوا يهددون تركيا بأعظم الأخطار فى الميدان السورى . فأسلم مصطفى كمال القيادة لكاظم قره بكير وأعطى الأوامر لكى يعالج المسألة الكردية وينظم الأمر على الحدود ورحل هو إلى الأستانة فى طريقه إلى سوريا

■ ■ ■

كانت بغداد قد سقطت فأحدث سقوطها دويا شديدا ارتجت له بقايا الامبراطورية العثمانية وأخذ الانجليز يزحفون على الموصل فتزايد الخطر .

وكان أنور فى الميدان السورى يعتمد ، كشأنه، على الألمانيين وكان صاحب مشورته الجنرال فالكنهين . ووصل مصطفى كمال . وأخذ يدرس الموقف . فوجد أن الأساليب والخطط التى تتبع لا يمكن أن تؤدى إلى انقاذ الموقف . وفى اجتماع للمجلس الحربى أخذ يبسط آراءه واشتد الجدال ، وسمع كلاما شديدا من القائد الألمانى رد عليه بكلام أشد منه . ووضح من هذا الجدال ألا سبيل

لأن يعمل مصطفى كمال فى هـذا الميدان ويكون عنصرا مريحا
فاقترح أنور أن يعطى أجازة ورأى الجنرال فالكنهين أن يحاكم
أولا على اهانته له وأخيرا انتهى الأمر إلى الحـل السلمى فأخذ
الاجازة واقترض نقودا من جمـــال باشا عاد بها إلى العاصمة .
وفى قول إنه باع خيوله العربية لجمـال بمبلغ خمسة آلاف جنيه
أخذ منها ألفين معجلة والباقى بعد رجوعه .

— ٢ —

فى الميدان الغربى

البطالة من جديد

ولكنها هذه المرة لم تطل فقد جاءه أمر بأن ينضم إلى حاشية ولى العهد الأمير وحيد الدين فى رحلة إلى المانيا .

وكشأن الأمراء الأتراك كان ولى العهد يؤثر الصمت ، والتظاهر بالبلادة حتى لا يثير ريبة الخليفة . فلما خلا الجو له فى طريقه إلى المانيا فتح فمه وأخذ يتحدث إلى مصطفى كمال فيمتدح مواقفه فى غاليبولى . وأخذ مصطفى كمال بدوره يذكر له آراءه فى الألمانيين ووجوب التخلص منهم وصارحه بأنه يتشكك فى أن النصر سيكون فى جانبهم .

وفى المانيا . قابل مصطفى كمال غليوم الثانى وهندنبرج ولودندورف وغيرهم من آلهة الحرب . وكان لا يكتفى بأن يسمع منهم العبارات التى لا تقنع بل كان يسأل ويلح . حتى حمل الجنرال

لوندروف مرة على أن يصرح له بأن الالمانيين يستعدون لهجوم عنيف تكون نتيجته الفاصلة فى مصير الحرب .

وكان هذا كلاما غير محدود لا يعجب القائد التركى الذى يريد أن يعلم كل شيء . فانتهز فرصة جلوسه على مائدة عشاء مع الجنرال هندنبرج وسأله عن الهدف الذى سيصوبون إليه هجومهم . ورجا ألا يكون ما سمعه من الجنرال لودندورف من « الأمور المرهونة بأوقاتها » هو أسلوب العمل .

يقول مصطفى كمال فى مذكراته :

« لم أكن انتظر من المارشال العظيم أن يدلى إلىّ بالمعلومات الدقيقة التى اريدها ، ولكنى كنت غير مقتنع وقد حلت الخمر عقدة من لسانى ، فأخذت اتحدث إلى هندنبرج فى إفاضة وأشرح له شكوكى ، وقد تتبع حديثى بانتباه . وكانت اجابته قاطعة وإن لم تكن جافة . فقد التفت إلى مائدة بجواره وتناول صندوق السجاير وقال :

« هل تود سعادتك سيجارا أو سيجارة . . ثم قدم لى سيجارة بيده وبذا تخلص من الاجابة » .

كان أنور يرمى من إيفاد مصطفى كمال فى هذه البعثة أن يبدل رأيه فى الالمانيين فإذا به يغادر المانيا وهو أشد ما يكون اقتناعا بصواب آرائه .

وفى الطريق أصيب بالانفلونزا فاضطر إلى التخلف فى فينا .

وكان نفوذ أنور باشا فى هذه الفترة يضعف، وسلطته تتناقص .

وإن العاصفة توشك أن تهب فتقتلع وزارة الطغاة الثلاثة .

وعجل مصطفى كمال كعادته فأرسل برقية إلى السلطان يقترح تأليف وزارة يرأسها المارشال عزت ، وأدرج قائمة بأسماء الوزراء وخص نفسه بوزارة الحربية وقيادة الجيش التركى كله !.

وإذا بالانبـاء تصل بتأليف الوزارة الجديدة ، ومن الغريب أن الوزراء الذين تولوا الأمر ، كانوا هم الذين قال عنهم ، ومن بينهم صديقه فتحى بك ، إلا أن شيئا واحدا لم يتم ، وهو أن يتولى هو وزارة الحربية أو على الأقل قيادة الجيش .

وما أن وصل حتى جاءته الأوامر بأن يذهب إلى ميدان سوريا حيث كان يعمل صديقه فى غاليبولى الجنرال ليمان فون ساندرز . ولكن هذا القائد سلم القيادة العامة فى هذا الميدان لمصطفى كمال وغادره وهو يكرر له اعجابه وثقته التامة بقدرته وكفاءته .

- ٣ -

الصلح

وفى هذا الوقت كان عزت باشـا رئيس الوزارة يتفاوض فى الصلح ، وفى ٣٠ اكتوبر سـنة ١٩١٨ تم الاتفـاق على إيقاف الحرب .

وعاد مصطفى كمال إلى الأستانة .

عاد عاطلا كعادته كلما هبط إلى هـذه العاصمة . ولكنه كان يشهدمأساة الصلح عن كثب .

سقطت وزارة عزت ، وخلفتها وزارة توفيق ، لكى تسلم بكل شىء ، ورأى مصطفى كمال الخطر من كل ناحية ، والساسة لاهون عنه وعن آرائه . وفى لحظة من لحظات السخط أمسك بالتليفون وطلب مقابلة السلطان ، فلما مثل أمامه عرض عليه مطلبه الخالد، وهو أن يتولى وزارة الحربية متعـاونا مع حكومة قوية ، وأن

يحل هذا البرلمان الذى أولى ثقته للوزارة الضعيفة الواهنة ، وزارة توفيق باشا .

فما كان من وحيد الدين [وقد أصبح سلطان تركيا] إلا أن حاول فى دهاء توجيه مصطفى كمال وجهة أخرى ، وهى أن يعمل على عدم قيام ثورة ضده .

لم يأبه مصطفى لهـذا الطلب ، وراح ينتظر تأليف الوزارة الجديدة التى تعقب حل البرلمان ، فإذا به يجدها ، وقد خلت من اسمه . أى أنه أبعد مرة أخرى عن ميدان النشاط ، فذهب إلى ضاحية من ضواحى العاصمة يقيم فيها ، لا نصير له ولا صديق إلا عارف زميله منذ القدم .

وصادفه حظه الحسن مرة أخرى .

فقد رأى السلطان بالاتفاق مع الانجليز أن أول خطوة تتم هى تسريح جيش الاناضول وحل فروع الاتحاد والترقى فى هذه المنطقة . ورشح السلطان مصطفى كمال للقيام بهذا العمل . ولكن الانجليز عارضوا . فقد هددهم قبيل إيقاف الحرب نهائيا بأعظم الويلات عندما كان مرابضا مع جيشه فى اسكندرونه وكاد يعلن عصيان أوامر الحكومة ويأبى التسليم .

ومضت أيام ، وقرار التعيين معلق . وأخيرا اقنع الداماد فريد

رئيس الوزراء إذ ذاك المراجع الانجليزية بالموافقة فتم تعيينه . وما أسرع ما ذهب مصطفى إلى امه يودعها ، وما أسرع ما رحل إلى الاناضول ومعه صديقه رأفت .

وفطن الانجليز إلى ما قد ينجم من أخطار إذا ما ترك هـذا الرجل فى الاناضول ، فعادوا يلحون فى وجوب إرجاعه وصدرت الأوامر على طول الطريق بإيقافه وأمره بالعودة . ولكن هيهات. فقد أفلت الأسد من القفص .

وفى الطريق أخذ مصطفى كمال يتحدث . وأخذ رأفت يصغى و إذا به يذكر لرفيقه فى السفر تفاصيل اطماعه وخططه ، و إذا بها تتكشف فجأة لا عن ضابط يريد أن يقود جيشا فحسب . ولكن عن زعيم يريد أن يصنع بيديه دولة جديدة .

هكذا قدر له صاحبه الالمانى قديما وهكذا رحل وفى نفسه قوة سبعة شياطين !

خاف رأفت مما سمع بل ذهل وعارض صاحبه ، ولكنه كان مؤمنا بكفاءته التى لا حد لها ، فقرر أن ينضم إليه ولكن فى حذر.

وأخيراً انتهى بهما المطاف فى سمسون على شاطىء البحر الأسود . ولم يصمت مصطفى كمال ، بل استمر يتحدث ، فتسرب إلى الجواسيس ما ينتوى هـذا الرجل الخطر ، وصدر الأمر

بالقبض عليه . فأفلت الى أماسيا حيث لا جواسيس ولا أعداء .

وهناك استدعى رأفت ورؤوف وعلى فؤاد ، وكان أولهم فى سيواس ، والثانى يقود الجيش العشرين فى أنقره ، فجاء ومعه رؤوف . وانضم إليهم عارف الصديق القديم للزعيم المنتظر . وفى هذا الاجتماع أخذ مصير تركيا يتحدد ، وأخذ هؤلاء الرجال فى صنع تاريخ جديد لها .

بدء الجهـــاد

- ١ -

مؤتمر سيواس

أخـذ مصطفى كمال يتكلم و يتحمس فى كلامه حتى أصبح كالسيل الدافق والرفقاء يصغون فى دهشة ووجل . اتفقوا على نقطة واختلفوا على كثير .

كانت فظائع أزمير التى قدمنا بها الكتاب قد وصلتهم وكانت انباؤها سندا لمصطفى كمال فى وجوب الدفاع عن الوطن وسلامته. واقتسموا العمل : فأخذ على فؤاد الغرب وكاظم قره بكير الشرق ومصطفى كمال الوسط .

وما أن بدأ مصطفى يحدثهم عن السـياسة وفى وجوب تأليف حكومة غير الحكومة المركزية حتى بدأ الخلاف ، فقـد أحسوا وسط حماسة مصطفى كمال رغبته فى أن يمسوا السلطان ونفوذه . وأخيرا قبل مصطفى كمال حلا وسـطا وهو أن يعقدوا مؤتمرا فى

سيواس يحضره مندوبون عن البلدان والقرى الاناضولية لكى تعرض عليهم خطة العمل .

وانطلق القواد كل فى منطقته ينشر الدعوة و ينظم لعقد المؤتمر .

وأحست الحكومة بنشاط مصطفى كمال فأصدرت أوامرها إلى موظفيها بعدم تنفيذ أى أمر يصدر منه ، ثم ضيقت العاصمة عليه الخناق أكثر من هذا فصادرت المؤتمر ، ولكن لم يمض الاسبوع الاول من شهر يناير سنة ١٩١٩ حتى كان مصطفى قد هبط ارضروم . وهناك حاولت السلطات اقناعه ـ مهددة ـ بأن يعود إلى العاصمة فرفض فاتصل به وزير الحربية وحاول استعطافه ، فوجده فوق الاستعطاف .

فاتصل به السلطان تليفونيا وطلب منه الحضور ، فرد عليه فى خشونة قائلا :

— لن أحضر .

فلما أصر السلطان أصر هو على موقفه .

و بينما كان مصطفى كمال يكتب استقالته من مناصب الدولة كان أمر العزل قد وصله ، وأذيع فى جميع أنحاء المملكة فشطب اسمه من قائمة الضباط وهدد كل من يتصل به أشنع تهديد .

وفى أرضروم اجتمع مندوبو المناطق الجديدة التى أمكن

لدعاة الوطنية الجديدة ، وطنية الانقاذ والتحرير ، أن يحرضوهم على الحضور .

وحدث أثناء اجتماع المندوبين أن أصدر السلطان أمراً بتولية كاظم قره بكير منصب القائد العام لجيوش الاناضول . وكان أول واجبات القائد الجديد أن يلقى القبض على مصطفى كمال ويرسله مخفورا الى العاصمة .

وهكذا تحول الموقف تحولا عجيبا . . فقد أصبح كاظم السيد الرسمى لهذه المناطق ، وأصبحت فى يده القوة التى تمكنه - إن أراد - من سحق الحركة الوطنية ، ومن غل رئيسه السابق ، وزعيمه الحاضر ، فى سلاسل من حديد و إرساله حيث يلقى جزاءه .

تردد كثيرا ، ولم يخف قلقه على مصطفى ورؤوف . . أخبرهم بالاوامر السرية التى تلقاها . . ولكنه ظل يفكر فى بطء . تذكر كيف أن مصطفى عينه نائبا عنه فى عام ١٩١٧ فى القوقاز وأمره على الجيش التركى هناك ، وكيف أنه اختاره ركنا من أركان الحركة الجديدة .

ولم يتردد مصطفى كمال فقد اعتمد على حظه ، وعلى أن الاقدار ستنصره ما دام سائرا فى طريق الحق والواجب ، فألقى بنفسه وآماله بين يدى كاظم قره بكير ، وتركه ليختار بين تبعيته للسلطان

وقيادته الجيش ، وبين تبعيته لمصطفى كمال ، وأن يكون طريدا مثله من الجيش والسلطان .

وقد اختار الرجل . .

آثر الثانية على الاولى . واحتفظ ببيعته لزعيمه ، فكان مثلا كريما .

وانعقد الاجتماع فى اليوم التالى وتقرر أن تعرض فكرة إنشاء حكومة وطنية مستقلة عن حكومة السلطان فى الاناضول ، وأن ينتخب مصطفى كمال رئيسا للجنة التنفيذية التى تحضر لمؤتمر سيواس ، وأن يكون مصطفى كمال بعد هذا كله نائبا عن أرضروم فى المؤتمر ، وتقرر أيضا أن يعاون رؤوف الرئيس فى أعباء الرياسة .

وهكذا كسب مصطفى المعركة على طول الخط ، أصبح الشعب وراءه وكاظم وجيوشه يؤيدونه .

وفى سيواس توافد المندوبون من كل مكان . من جميع أنحاء تركيا ، حتى من قسمها الاوروبى . وكانت أوامر الحكومة صارمة فى وجوب القبض على هؤلاء المندوبين أينما وجدوا ، فكانوا يسيرون فى الليل ، ويختارون أعسر طريق بين المفاوز والجبال ، حتى أن مصطفى كمال نجى من القبض عليه بأعجوبة .

وككل مؤتمر يعتمد فيه المجتمعون على ألسنتهم ترى الآراء

تتشعب ، وتتباعد . فمن قائل بأن مقاومة الانجليز مستحيلة ، ولا سيما المقاومة المسلحة . ومنهم من كان يعارض فى إيجاد حكومة أخرى غير حكومة السلطان .

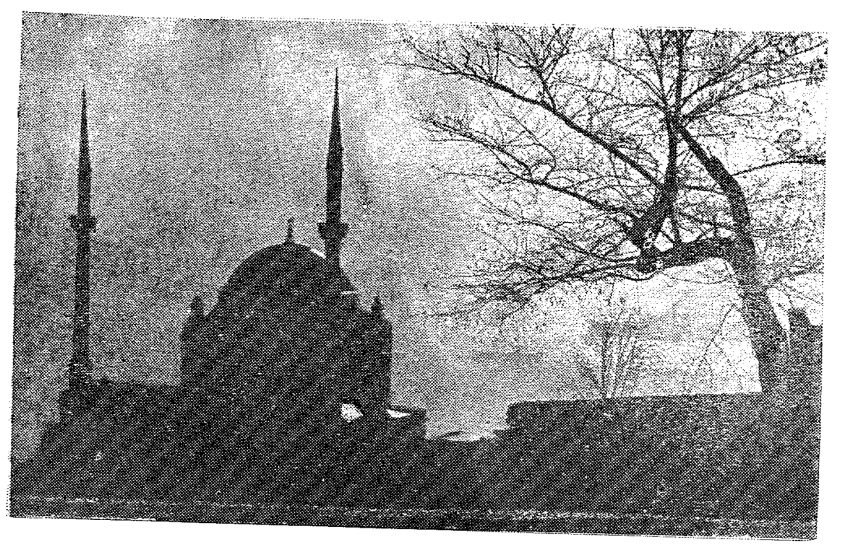
وظل مصطفى كمال يكد ويجد . يتحدث مع كل عضو على حدة حتى يقنعه ويواصل ليله بنهاره فى كلامه ، وفى وعوده، ووعيده حتى تمكن من تدعيم زعامته لهـذه الهيئة ، على كره من بعض كبارها مثل كاظم قره بكير ورؤوف اللذين خشيا من تفرده بالأمر.

وحدث أن اكتشفت رسائل تدل على أن رئيس الوزارة الداماد فريد يحرض على ثورة كردية ، فزادت هذه المؤامرة من شعور المؤتمر بالخطر ، فألقى بنفسه بين أحضان مصطفى كمال ، فكان له ما أراد .

وأجاب السلطان على هذه الحركة ، بأن أسقط وزارة الداماد، وألف وزارة جديدة ، وأمر باجراء انتخابات جديدة .

●●●

فاز فى الانتخابات الرسمية نواب المؤتمر باغلبية كبيرة جدا ، وكان مصطفى كمال قد نقل مركز الحركة إلى انقره . وإذا بقائل يقول : مادمنا نوابا رسميين فلنذهب إلى العاصمة ولنعقد فيها اجتماعاتنا . وعارض مصطفى كمال محتجا بأنهم سيكونون هناك



الفجر على ضفاف البوسفور

تحت رحمة السلطان . ولكن لم يصغ إليه أحد ، وقاد رؤوف حركة النواب . وسافروا إلى الاستانة ملتفين حول الزعيم الجديد ، وتاركين مصطفى وحده فى أنقره .

وساد شعور فى كل مكان بأنه لا داعى لأن ينشب الخلاف بين بعض الاتراك والبعض الآخر ، وشعر مصطفى بأن البناء الذى بناه ينهار حجرا بعد حجر . ولكنه لم يفزع ، ولم يجزع .

فقد كان على علم باخلاق وحيد الدين ، سلطان الاتراك ، فهو رجل هلوع ، يخشى أن يقدم على ما يغضب الحلفاء خشية أن يتزعزع العرش ، ولذا كان على ثقة من أن الأمر سيعود إليه وأن البلاد ستلتف حوله من جديد

كان يؤمن بالمقاومة المسلحة ، ولهذا أخذ يعمل تاركا الزمن وحده ليحل مشكلة البرلمان الذى هرب منه إلى السلطان . وإذا رجع القارىء إلى أول صفحات الكتاب ، فإنه يجد الفظائع التى ارتكبت فى أزمير والأستانة والتى انتهت بالقبض على النواب ونفيهم إلى مالطه ، وضغط حذاء الاحتلال الثقيل على تركيا ، فضاقت النفوس واشتد الحرج .

وفى هذه اللحظات الضيقة نظرت البلاد مرة أخرى إلى مصطفى

كمال . وخصوصا بعد أن أفتى رجال الدين فى العاصمة بأنه خارج وأن دمه مهدر ، ووعد السلطان بدفع مبالغ طائلة لمن يأتى برأسه.

وكان تشريد البرلمانيين سببا فى انتخاب مؤتمر جديد يعقد فى انقره . ولم تكن هناك صعوبة فى انتخاب مصطفى كمال رئيسا للمؤتمر، بل زاد نفوذه فقد وكلت إليه رئاسة الوزارة التى اختارها المؤتمر . وبذا جمع بين يديه التشريع والتنفيذ ، فأصبح حاكما بأمره ، أو دكتاتورا للحكومة الوطنية .

لم يسكت السلطان ، بل ألف جيشا ووجهه إلى الاناضول لسحق مصطفى كمال وأنصاره ، وسار جيش السلطان يكتسح القرى ويأسر قوات الزعيم الثائر . وتحرج الموقف إلى حد بعيد.

لم يفقد مصطفى كمال ثباته ، وإن كان النواب قد أخذوا يضجون بالشكوى ويصخبون . وفى جلسة زاد التذمر إلى أبعد حد ، فوقف القائد على منبر الخطابة . . وسكن الضجيج .

قال مصطفى :

« هل أنتم أتراك . . أتجلسون هنا لتتكلمون . . هيا بنا ننظم جيشا لطرد هؤلاء اليونانيين الذين سادوا وهم عبيد الأمس، اتحدوا واستعدوا ، وسيكون النصر من نصيبنا » .

واختفت المعارضة وألقى المجلس بنفسه مرة أخرى فى أحضان الذئب الأغبر .

* * *

هذا خطر جديد يزحف .

فقد أدت فظائع اليونانيين فى أزمير وضـواحيها إلى نشوب حرب بينهم وبين عصابات القرويين التى قادها رجل من الرجال الأشداء وهو أدهم . وقد وفق فى كثير من المناسـبات ، ووجد نفسه فى بلاد لا سيد لها ذا جيش ونفوذ ، ففكر فى أن يستقل بأمره ، وأخذ يجمع الضرائب ويذيع البيانات باسمه فى صحيفة ، واتخذ مدينة «كوتاهية» مقرا له ، متجاهلا أنقره وقائد حركتها .

سار الوسطاء بين أدهم ومصطفى رجاء أن ينضم الأول إلى الثانى فرفض . . واستمع على فؤاد قائد الجبهة الغربية إلى إغراء أدهم فهاجم اليونانيين فى أزمير بجيشـــه ، ولكنه هزم هزيمة منكرة . .

ولم يجد مصطفى كمال بدا من وقف أدهم عند حـده خشية أن يتفاقم خطره ويذيع بين الناس الفوضى والرغبة فى العمل غير المنظم وهذا ما يأباه رجل الحرب .

دعا مصطفى غريمه إلى أنقره ، فجاءه تقله عربة مصطفى

كمال ، وكانت المركبة الوحيدة فى أنقره ، وواجه كل منهما صاحبه .
ولا شك أن رأس كل منهما كان يفكر فى طريقة يغتال بها خصمه
وكلما بدرت من أحدهما حركة فزع الثانى إلى مسدسه .

ولم يجد الكلام ، فاقترح مصطفى كمال أن يذهبا معا فى القطار
إلى اسكى شهر ، حيث يوجد عصمت ، نائب مصطفى كمال فى
قيادة الجيش الجديد الذى شرع فى إنشائه مع فوزى .

وتجاهل مصطفى أن أدهم كان يتحين كل فرصة ليخرج
مسدسه ويفرغ رصاصه فى صدره ، بل سار معه متجها بنظره الى
الامام . وفى أثناء الرحيل فكر أدهم فى أن من الجائز أن تكون
المؤامرة التى يخشاها فى انتظاره . فسيكون فى اسكى شهر بعيدا
عن قواته ، و بين يدى عصمت وجنوده . فما كان منه إلا أن
انتهز فرصة سانحة ، ونزل من القطار حيث التحق بعصاباته .

وفى كوتاهية أخذ يتصرف كما كان ، بل طرد الموظفين الذين
أرسلتهم أنقره ، وأرسل إلى المجلس الوطنى رسالة يقول فيها :
« تعبت البلاد من القتال . ويجب أن يكون لبعثة عزت باشا من
السلطة ما يسمح لها بالمفاوضة فى الصلح . . وأنا أعبر عن رأى
الأمة والجنود » .

فرد عليه مصطفى كمال بقوله :



(عصمت اينونو)

« كنت أتحادث معك كزميل لزميل قديم، والآن أنا أعاملك كما يعامل رئيس حكومة أى فرد من الناس » .

ثم أصدر أمره إلى عصمت بسحق أدهم وقواته . فسار وأقت على رأس جيش إلى كوتاهية ، وأخذها . وأمام هذه الهزيمة سار أدهم إلى اليونانيين والتحق بهم طمعا فى أن يعاونوه على الانتقام من مصطفى كمال .

وقد انتهز اليونانيون فرصة هذا الخلاف فساروا إلى افيون وأخذوها ، واستولوا على قسم من سكة الحديد.وفى عودة عصمت من كوتاهية أنقذ المدينة وعسكر فى اينونو .

وقد أدهشت هذه المقاومة اليونانيين فتراجعوا القيام بهجوم كبير فى صيف عام ١٩٢١ .

وكان هذا النصر الأول فى اينونو باعثا على استعادة الاتراك الثقة بانفسهم ، فانتعشت الآمال .

وجاءت أنباء أخرى سارة من جيش الشرق الذى كان يقوده كاظم قره بكير ، وهى أنه تغلب على مقاومة الاكراد واتصل بالشيوعيين وحمل سلاحهم وأموالهم ليدعم بهما الحركة فى أنقره .

— ٢ —

سقاريا

بينما كان مصطفى كمال قابعا مع فوزى فى أنقره يراجعان الخرائط ويتلقيان الأنباء ويصدران الأوامر كان اليونانيون قد بدأوا هجومهم فى شهر يوليو بجموع كثيفة . ولم يكن الاتراك قد أكملوا استعدادهم فسقطت كوتاهيةوأفيون قره حصار وأخذت جيوش الأعداء تزحف على اسكى شهر حيث يعسكر الجيش التركى ، وكانت خطتهم تطويق الجيش ومحاولة افنائه .

وكان عصمت فى حيرة حائرة يسير فى مكتبه وهو فى غرفة حقيرة فى بناء متهدم ، مهتاج الأعصاب ، يحترق بنيران الغضب . فقد كان سقوط اسكى شهر يعنى تماما ضياع كميات كبيرة من الذخيرة والمؤونة ، وفتح الطريق إلى أعماق الأناضول وهزيمة الوطن والوطنية هزيمة منكرة .

لا سبيل إلى حل الموقف إلا بوجود مصطفى كمال ، فأرسل له مستنجدا . ولبى القائد الزعيم .

وما أن وصل حتى تولى من فوره القيادة . وفى ثقة لاحد لها أخذ يعمل فيحيي همم الرجال ، ولا يعنيه قليلا أو كثيرا ما يحيط به من حرج الظروف .

انكب على دراسة الموقف ، وراجع الخرائط ، وسمع التقارير وفجأة أصدر أمرا باخلاء اسكى شهر ، والتراجع إلى الوراء ثلاث مئة كيلو مترا والوقوف عند نهر سقاريا حيث يمكن تغطية أنقره . فان التراجع يطيل خطوط الأعداء ويضعف بعض الشيء من قوتهم ويتيح للقوات فرصة التجمع والاستعداد أكثر من ذى قبل . .

وأعقب القائد العجيب إصدار هذه الأوامر بوضع أعلام صغيرة على المواقع الجديدة للجيش ، ثم أسرع إلى أنقره .

وكانت تنتظره فى أنقره أزمة جديدة فقد خشى الأهالى أن يؤدى تقدم اليونانيين إلى سقوط المدينة فأخذوا يستعدون لمغادرتها والهرب إلى الجبال الشرقية .

وكان النواب فى المجلس يصيحون مطالبين برؤوس هؤلاء الذين تسببوا فى هذه الهزيمة .

ولم يتردد مصطفى كمال فى مواجهة العاصفة الجديدة ، فقد وقف فى المجلس ، وسلط عليه صواعق من نار غضبه ، وطلب فى

النهاية أن تعطى له سلطة التصرف المطلق ، كقائد عام لا يراجع

وبعد تردد يسير وافق النواب ، فقد كان خطر مصطفى كمال أهون عندهم من خطر اليونان .

وبينما كان يركب جواده سقط من عليه ، فكسر أحد أضلاعه ، ولكن هذه الاصابة لم تحتجزه في الفراش غير يومين اثنين ، قام بعدهما ليسرع إلى نهر سقاريا استعدادا للقاء اليونانيين.

■ ■ ■

وفى الميدان الجديد كان القائد الديكتاتور يعمل كأنما صيغ من حديد . كان ينام بثيابه أقل الوقت ، وكان يجلس أكثر الوقت إلى مصوراته الجغرافية وإلى ضباطه يعمل معهم فى جلد لا ينفد . وكان أكثر رجاله التصاقا به عارف صديقه . كان ينحنى فوق كتفه فيبدو وجها الرجلين كأخين توأمين. ويقول له : هذه القرية تبعد عشرة أميال عن تلك ، وهذا المكان يرتفع كذا ، وذاك يهبط كذا ، فقد كان عالما بكل شبر من هذه البقاع .

كان الموقف حرجا ، وكانت الهزيمة تساوى تماما ضياع تركيا.

وكان مصطفى يتذكر أيام غاليبولى فى حسرة فقد كان يستطيع إذ ذاك أن يصدر أمره مرة واحدة لعشرة آلاف .

أما هنا ، فهو مضطر إلى أن يعمل حساب كل جندى ويخشى مغبة كل مخاطرة .

و بدأت المعركة واستمرت أربعة عشر يوما دون أن يترجح النصر فى جانب، وكان مصطفى كمال يسأل نفسه دائما: أيتراجع قبل أن يفسد عليه الأمر ويصبح التراجع مستحيلا أم يستمر ؟

وفى ليلة دق جرس التليفون وأسرع ضابط إلى قائده يقول له:

ـــ فوزى باشا يريد مخاطبتك بالتليفون .

وأسرع مصطفى كمال ووقف حراسه وضباطه غير بعيد ، ووجوههم تكاد تبيض خوفا ، وإذا بهم يسمعون رجلهم الجبار يصيح مع مخاطبه :

ـــ ماذا تقول ؟

فيرد عليه فوزى باشا :

ـــ لقد انهكت قوى الأعداء وهم يستعدون لتراجع عام .

ألقى مصطفى كمال سماعة التليفون ، وقفز إلى مكتبه ، وأصدر أمره بأن يحتشد كل الجيش الاحتياطى فى الشمال ، وأن يقطع على اليونانيين خط الرجعة .

ثم صاح يطلب قهوة ! !

وفى الصباح كان فى جبهة القتال وقد ثارت فيه كل غرائز

المحارب التركى . لا يحتاط لشيء ولا يخشى من الرصاص الذى كان يتهاطل من حوله كالمطر ويصيب الرجال فيسقطون صرعى .

وفى اليوم الثانى والعشرين كان اليونانيون يجتازون نهر سقاريا وفى طريقهم كانوا يحرقون القرى انتقاما لهزيمتهم حتى لقد خلفوا وراءهم مئتى ميل صحراء جرداء .

وأسرع من ورائهم مصطفى كمال يتعقبهم ككلب الصيد وراء الطريدة ، حتى استقروا عند خطوطهم الأولى فى اسكى شهر ، وأمر هو بالاقامة أمامهم . ثم وضع أعلامه فوق الخرائط ، وعاد ركضا إلى انقره . وبذا أضاع اليونانيون ما بذلوا من جهود منذ شهر يوليو . . أى منذ بدأوا هجومهم الكبير .

■ ■ ■

جن الناس فى انقره أيما جنون ، وسارت مواكبهم فى كل مكان من مطلع الفجر إلى أعماق الليل ، تهتف للبطل وتمجد (الغازى) . . فهذا لقبه الجديد .

وجاءت التهانى من كل مكان تترى . فهذه برقيات من روسيا وأخرى من الأفغان وثالثة من الهند ومن أميركا وحتى من فرنسا جاءت التهانى .

ومصطفى كمال لا يكره بفطرته تصفيق الجماهير ولا أفراح

الشعب ، ولكن من العبث أن يجارى هذه الجموع فيزعم أن هذا الذى نال كان نصرا كاملا .

فقد كان برنامجه أن يطرد الأعداء من البلاد ويقذف بهم في البحر ، أما ما حدث حتى الآن فهو إيقاف الزحف .

لا يزال البرنامج ناقصا ، بل لم يتم منه إلا أيسر بنوده .

اذن فليفرح من يشاء . أما مصطفى فقد انكب على العمل يعاونه عصمت وفوزى .

وكان أهم ما وصل إليه فى هذه الفترة عقد معاهدة سرية مع فرنسا تمكن عن طريقها من الحصول على ثمانين الف رجل من الجبهة السورية ومعدات حربية تكفى أربعين الف رجل ولم يقنع بهذا بل اشترى أسلحة من ايطاليا وأمريكا بالنقود التى كانت تأتيه من موسكو .

وكان أهم ما يحتاج إليه الرجال ، فجند كل قادر تقريبا على حمل السلاح .

ومضى شهر بعد شهر ، وأثمر هذا المجهود الهائل فتكون الجيش على النحو الذى أراده مصطفى كمال . ولكن القرى بدأت تشكو مر الشكوى . وكان خرج الحرب ، وخطر العدو يكم أفواه

البرلمانيين ، فقد ظلوا صامتين حتى إذا رأوا العدو ينجاب إلى خطوطه الأولى أخذوا يتكلمون .

وجاء من بخارى أن أنور هبط فيها . وأقام نفسه أميرا عليها وأخذ يستعد للقدوم إلى تركيا على رأس جيش كبير . مقلدا عثمان فى زحفه الأول .

وانتهى الأمر إلى أن أخذ الضباط يتكلمون فى السياسة ويثرثرون مع البرلمانيين !

ثم إن رؤوفا وفتحى نالا عفوا من الانجليز وغادرا مالطة وقدما إلى تركيا، ورؤوف هذا هو الذى قاد حركة النواب ضد مصطفى كمال عقب مؤتمر سيواس .

كانت هذه كلها طعنات من الوراء فأسند ظهره إلى الحائط على حد تعبير رجال الحرب وأخذ يقاتل . وكشأنه دائما تمكن بأعصابه الحديدية من أن يهدىء هذه المعارضات ويسكت الثرثرة إلى حين .

■ ■ ■

وفى أواخر شهر أغسطس قرر مصطفى كمال أن يضرب ضربته الأخيرة . تولى القيادة العامة ، بمعاونة عصمت قائد الجيش المحارب وفوزى رئيس أركان الحرب .

ففى ١٧ أغسطس أقام مباراة كبيرة لكرة القدم ، بين رجال الجيش وزعم أنه ذاهب ليحضر المباراة ، وهو فى الواقع كان ذاهبا ليعطى أوامره لقواده وضباطه ، ثم عاد إلى انقره دون أن يثير شبهة . وفى ٢٤ أغسطس دعا كبار رجال انقره إلى حفلة رقص تستمر طول الليل . وأخبر ضيوفه أنه منهمك فى عمل هام. ثم انسل من البيت دون أن يعرف أحد حتى أمه وأخته وجهته ورحل قاصدا جبهة القتال .

وكانت قواته تتجمع سرا فى افيون قره حصار ، وأشرف على الترتيب الأخير للمعركة الحاسمة . وقبل أن يصدر أمر الهجوم بحث عن خالده أديب زوجة عدنان صديقه فلم يجدها ، فأخر اصدار الأمر حتى قدمت من قونية ، لأنه كان يؤمن بالحظ ، ويؤمن بأنها تجلب له حظا حسنا .

وفى فجر ٢٦ أغسطس صاح فى جنوده :

« إلى الأمام ، حتى تصلوا إلى البحر المتوسط »

وما أن أرخى الليل سدوله حتى كانت جيوش الغازى تخترق صفوف الأعداء وتدمر خطوط مواصلاتها الخلفية .

ذهل اليونانيون من هول المفاجأة التى جاءتهم على غير

استعداد وكانت السياسة الداخليــة فى بلادهم تقسمهم فى الجيش وكانت مؤونتهم وذخيرتهم ناقصة .

اكتسحوا . ونجت منهم بلاد الأناضول . وان كان جيشهم قد نجا بأن ركب البواخر التى تقله إلى بلاده . ولم يستطع الذئب الأغبر أن يلاحقهم أكثر مما صنع فقد حال الموج بينه و بينهم .

وسار مصطفى كمال ، فى موكب الظفر إلى أزمــير ، وكانت جموع القرويين على طول الطريق تحي الغــازى أحر التحايا . وفى المدينة التى ردت لها كرامتها وقف على رابية ينظر إلى البحر ، ليرى إذا كان اليونانيون قد خلفوا وراءهم شيئــا أم أنهم غادروا إلى غير عود .

■ ■ ■

وفى الطريق إلى تراقيا كان يرابض الانجليز و يرفضون السماح للجيش الــكمالى بالمرور ..

عاد الغازى إلى أنقره ، وعادت الثرثرة إلى أشــدها ، ففريق من النواب يريد أن تعقد الهدنة فورا ، وتوضع شروطها وفريق يغلو و يطالب باشهار الحرب على الانجليز الذين يحولون دون وصول الجيش إلى غايته .

ومصطفى كمال وسط هذا العجيج عاكف على دراسة الموقف

يستشير المقربين له . وفجأة صدرت أوامره . وإذا بالجيش يتحرك. وإذا به يسير فى خطى وئيـدة حتى يصل إلى خطوط الانجليز ، ويحبس الجميع أنفاسهم توقعا للهول المنتظر . ولـكن يصدر أمر الضباط للجنود فينكس هؤلاء السلاح ويتقـدم الجيش مسوقا بالفرسان ويدهش الانجليز فهؤلاء جنود أمامهم يسيرون ويخترقون الصفوف لا يشهرون سلاحا ولا يبدون عداء وتدور المخابرات مع قائد المنطقة والقائد العام السر هارنجتون . فيصدر الأمر بالسماح للأتراك بالمسير إلى حيث يريدون .

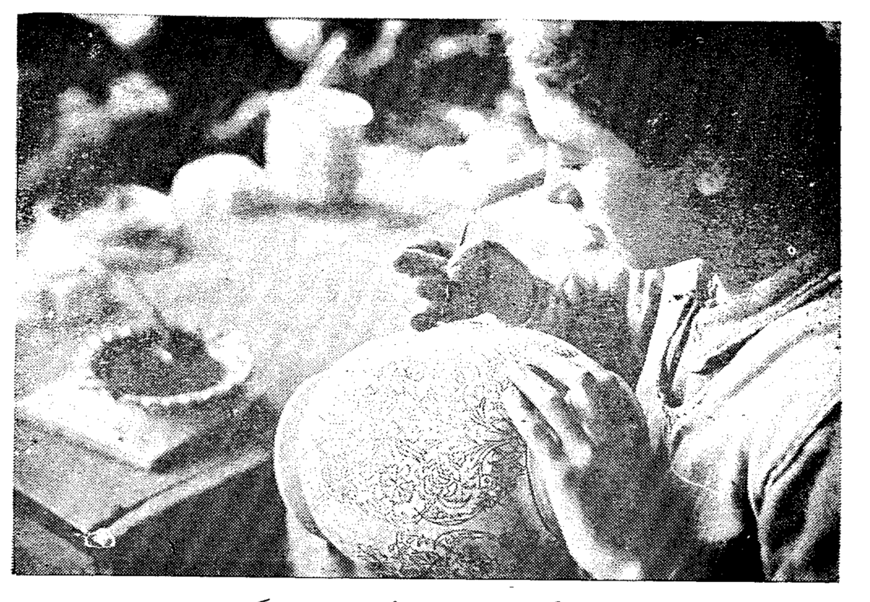
وصل الـكماليون إلى تراقيا .

وفى مودانيا وقعت الهـدنة . وكان تاريخها ٩ أكتوبر .

وكان نائب الغازى فيها عصمت باشا .

ومنذ ذلك التاريخ لم يبق فى تركيا كلها يونانى واحد

وهكذا كانت سقاريا عود الند إلى الارتفـاع ، وكان استرداد ازمير بدء النصر ، وكان الوصول إلى تراقيـا النصر الصحيح . ففى الأخيرة تجـلى حذق مصطفى كمال ، وشجاعته وقدرته على ضبط أعصابه .



نقش الخزف فى كوثاهية وهو من أدق الفنون التركية الجديدة



الغازى مصطفى كمال ويرى إمضاؤه بالحروف العربية

ضربات حاسمة

— ١ —

تركيا فقط

أجل انتهى الكفاح المسلح

وكللت هامة البطل بالغار

ولكن ليس يكفي أن يحارب القائد فينتصر ، وإنما لابد أن يثابر حتى يصون النصر الذى أحرز .

كانت المعارك الحربية فى حساب الدولة الجديدة معارك صغرى ، أما المعركة الكبرى فهى تنظيم الدولة الجديدة ووضع أساسها .

أقبل النواب يحملون حقائب كلامهم ، وأفرغوها أمام مصطفى كمال . وتقلب بهم الأمر ، فراحوا يطالبون بالاستمرار فى الحرب حتى تسترد البلاد ما فقدت ، تسترد سوريا والعراق وتعيد

للامبراطورية العثمانية سالف مجدها . ولكن الغازى أجاب على كل هذا الهراء بخطبة حاسمة فى اجتماع المجلس جاء فيها :

« انى لا أؤمن بجامعة اسلامية . بل لا أؤمن بجامعة أمم تركية . ولكل منكم أن يبدى ما يشاء من الآراء ، ولكن الحكومة تعزم عزما أكيدا على أن تسير وفق سياسية ثابتة وجهتها تأمين حياة الوطن واستقلاله داخل حدوده الطبيعية . ولن تؤثر على سياستنا الحماسة . سنستبعد الأحلام والأشباح إلى الأبد . فقد كلفنا ما تطلبون الكثير فيما مضى من تاريخنا » .

وجاء وفد من موسكو برياسة القائد الأوكرانى الجنرال فونز . وبعد اقامة حفلة تكريم للزائرين وقف رئيس الوفد الشيوعى وهنأ تركيا على ما أحرزت من نصر ثم دعا حكومتها الجديدة إلى اعتناق مذهب البلشفية والتعاون المذهبى مع موسكو . فوقف مصطفى كمال ورد عليه فى وضوح قائلا : « ليس بين الأفراد فى أى شعب من الشعوب ظالم ومظلوم ، ولكن يوجد هؤلاء الذين يسمحون لأنفسهم بأن يظلموا . وليس بين الأتراك من يسمح لنفسه بأن يظلم . ويستطيع الأتراك أن يرعوا شؤونهم بأنفسهم كما أنهم يسمحون لغيرهم بهذا الذى يريدونه لهم »

لم يرد الغازى أن يتبع حماقات الحمقى ولا أحلام الحالمين .

لم يفكر فى أن يكون بطل الشرق ضد الغرب أو قائد الاسلام ضد المسيحية أو زعيم طبقة ضد طبقة أعلا منها . قال :

« ان لنا مبدءا واحـدا . هو أن تنظر إلى كل المشاكل من وجهة النظر التركية . مع رعايه مصالح بلادنا » .

« وغايتنا أن تعيش بلادنا ضمن حدودها أمة صغيرة متماسكة ودولة ناجحة موفقة » .

وكان ايمان مصطفى كمال أن شخصا واحدا يستطيـع أن يحقق هذه الغايات هو (مصطفى كمال) .

■ ■ ■

كان أكثر الساسة والضباط — باستثناء عصمت وفوزى — يرفضون سيطرة مصطفى كمال . وقد استـدعاه المؤتمر مرتين إلى أنقره ليبحث شروط الصلح وكانت غاية أعضائه الحقيقيـة أن يضعوه بين أيديهم .

وذات ليلة قالت له خالدة أديب :

— ها نحن أولاء قد وصلنـا إلى السلم . وقد كافحت يا باشا كفاحا هائلا . ومن حقك أن تستريح .

فصاح فيها :

استريح.. ! كيف؟.. لقد تخلصنا من اليونانيين. وسيحارب بعضنا بعضا . ويأكل فريق منا الفريق الآخر .

فسألته :

« ولماذا ؟ » فأجابها :

ــ ماذا أصنع بالرجال الذين يعارضونني . سيختلطون بالشعب ويألبونه علي . وسيقتل بعضنا بعضا . ولكن بعد أن تنتهي هذه المعركة . سنعود إلى الحمول من جديد ولابد لنا من البحث عن مغامرة أخرى .

أرسل إلى أنقره بأنه لن يعود لأن لديه عملا في أزمير جاءه رؤوف رئيس الوزارة وعدد من الساسة يستطلعون آراءه . ماذا يكون الموقف : ففي أنقره تقوم الحكومة الوطنية الاقليمية وفي الأستانة تقوم حكومة السلطان ووزرائه . وجمهرة الأتراك تميل إلى أن يتفق الطرفان بأن يتولى مصطفى كمال رياسة الوزارة متعاونا مع السلطان . .

ترى ماذا يكون رأي مصطفى كمال في هذه العروض ؟

أبقى رأيه ووافق على أن يصحب هذا الوفد إلى أنقره

■ ■ ■

وهناك فى أنقره جلس أصحاب الأسماء التى ورد ذكرها فى هذا الكتاب وكان بعضهم مثل رأفت ورؤوف يعرفون آراءه . فقد سبق أن تحدث بها وهو فى طريقه إلى الأناضول

سأل رؤوف :

ـــ يذكر البعض أنك تنوى الغاء السلطنة والخلافة فهل هذا صحيح يا باشا ؟

فلم يتردد مصطفى كمال بل أجاب :

ـــ أحب أن أعرف آراءكم أولا .

فأجاب رؤوف :

ـــ لقد أكل أسلافى كما أكلت أنا خبز السلطان وملحه . ولست أتكلم عن وحيد الدين بالذات ، ولا هؤلاء الخائنين الذين يجلسون على العرش . يجب أن يخلع وحيد وأن يخلفه آخر ولكن لا شك أنى أنا وكل تركى ندين بالولاء لعرش الخلافة والسلطنة . ولا جدال فى أن الدولة تحتاج إلى فرد تعلو رأسه جميع الرؤوس ولا يستطيع أن يطمع أحد فى منصبه .

ووافق رأفت على رأيه ووقف على فؤاد مترددا لأنه قدم من موسكو حديثا ولم يكن يعلم تطورات الموقف . . وبذا وجد مصطفى كمال الوقت لم يحن بعد فقال :

— لست ارى داعيا لبحث هذا الموضوع

فلما أصر رؤوف على أن يعرف رأيه القاطع قال :

— لست أفكر فى مثل هذه النوايا التى تتحدث عنها . وعلى كل حال سأدلى بتصريح فى هذا الموضوع فى جلسة الغد .

كانت المعارضة أقوى مما تخيل مصطفى كمال ولذا قرر أن يسير ببطء .

ذهب إلى المجلس للمرة الأولى بعد انتهاء الحرب وبعد أن هدأ زئير التصفيق وقف وقال للنواب ان السلطنة شيء والخلافة شيء آخر ولابد من الفصل بينهما والغاء الأولى بعد خلع وحيد

وكان هـذا القول بمثابة ألواح الثلج سقطت على النواب فقد وجموا وصمتوا وبردوا بعـد طول الضجيج والحرارة . وأحيل الموضوع على لجنة القانون (الحقانية) فاجتمعت فى اليوم التـالى وأخذ شيوخها من رجال الدين يطلبون الـكتب والمراجع ليروا إذا كان يجوز شرعا فصل السلطة الزمنية عن السلطة الدينية

وطال الاجـتماع وطال البحث وضجر مصطفى كمال من طول الانتظار فاقتحم القاعة ووقف على المنضدة وصاح فى الأعضاء :

« أيها السادة : لقد اغتصبت السلطنة العثمانيـة السلطة من الشعب ومن حق الشعب أن يستردها ويفصل بين السلطنة والخلافة. ويجب عليكم أن توافقوا على هذا القرار وإلا كلفتكم المعارضة ثمنا غاليا هو .. رؤوسكم »

وهنا ارتجف الأعضاءواصفرت ألوانهم . وتمكن رئيس اللجنة من أن يتكلم فقال :

« لقد فصل لنا الغازى المشكلة لأنه تناولها من وجهة نظر غير التى سرنا فيها أول الأمر »

وما أسرع ماهز الأعضاء المحترمون رؤوسهم علامة الموافقة .. والتأم المجلس فورا .. وأدرك مصطفى أن شعور الأعضاء ليس معه فجمع من حوله أنصاره . ووقف خطيبا ، وقال إنى واثق أن المجلس سيوافق (بالاجماع) على رأى اللجنة ثم صوب للأعضاء نظرات من نار وقال : يؤخذ الرأى برفع الأيدى

وما أسرع ما قال الرئيس : « موافقون بالاجماع »

فوثب اثنا عشر نائبا وصاحوا : « هـذا كذب .. نحن لم نوافق » وإذا بهم يغرقون فى لجـة من الصخب « اجلسوا .. صمتا أيها الخنازير الخ »

وإذا بمصطفى كمال يتلو القرار وهو :

« وافق المجلس الوطنى الكبير على الغاء السلطنة من تركيا »

ثم رفع الجلسة وغادر المجلس محوطا بأتباعه

وبعد خمسة أيام كان رأفت ينفذ القرار أمام سمع الدنيا وبصرها. وكان وحيد الدين ينظر إلى حلفائه فى ضراعة ، ولكن لا مغيث

وبعد يومين كانت عربة من عربات الاسعاف الانجليزية تنقل السلطان وابنه وبعض المتاع

ونصب مكانه عبدالمجيد خليفة للمسلمين مجردا من كل سلطة زمنية.

— ٢ —

فى مؤتمر الصلح

كان من عادة مصطفى كمال أن يستعد استعدادا كاملا و يفكر فى كل ما يعرض له بهدوء و بطء ، ثم يضرب ضربته الحاسمة . فقد فاجأ السلطان والسلطنة قبل أن يستعدأحد للمقاومة وتخلص منهما . وعليه أن يفكر مرة أخرى فى الخطوة التالية .

ورأى من الخير أن يتعاون مع رؤوف فهو الشخصية القوية فى المجلس ، ولكن خشى إن هو مكن له لكى يكون رئيس وزارة فى الحكومة القادمة أن يطغى نفوذه ، ومصطفى كمال تواق إلى التفرد بالأمر .

وكان الجيش معه . ولكن قد ينسى الجنود تحت ضغط الفقر والحاجة انتصارات قائدهم الكبير . و إذن لا بد له من قوة أخرى يعتمد عليها . وهى أن ينشىء حزبا سياسيا يتبعه .

وأدرك أن من الممكن الاستفادة من الجمعيات التى تألفت منذ

سنة ١٩١٩ لمقاومة المحتلين وتحويلها إلى الحزب الذى يريد .

لم يتردد وأخذ يطوف بالبلاد و يخطب فيها مبشرا بحزب الشعب الذى نصب نفسه رئيسا له . وقد قوبل بالترحاب والبشر فى كل مكان . أليس هو الغازى الذى أنقذ البلاد ؟

وفى هذا الوقت كان مؤتمر لوزان منعقدا (٢٨ اكتوبر سنة ١٩٢٢) وكان مصطفى كمال قد أوفد عصمت لحضوره ، ورؤوف رئيس الوزراء و بقية الوزراء يجهلون كل مايجرى فى لوزان.

وكان لورد كرزون متعنتا عنيدا . وكان عصمت لا يقل عنه اصرارا على آرائه .

وظل المؤتمر إلى شهر فبراير دون أن يصل أحد الطرفين إلى نتيجة ، وعاد عصمت إلى أنقره . وهناك فى اسكى شهر كان مصطفى كمال فى استقبال مندوبه . ورفض رؤوف أن يستقبل القادم . فحنق الغازى وأرسل يستدعى رئيس الوزارة ويطلب منه إيضاحا فقال رؤوف: إن إيفاد عصمت كان بدون استشارته، و إنه احتجاجا على هذا العمل يقدم استقالته .

وقاد رؤوف فى المجلس حملة قاسية ظاهره فيها بعض النواب ، فقد جرحوا ما عملوا وأنكروا كل فضل ، ورأوا الغازى وقائده مقصرين فى كل شىء . فكان واجبا أن يرفض الصلح مع

اليونانيين ، وكان واجبا أن يسير الجيش لاحتلال الأستانة ثم احتلال أثينا .

■■■

وإزاء هذه الموجة العاتية ، أرسل مصطفى كمال مندوبه مرة أخرى إلى لوزان وزوده بتعليمات صارمة ليحصل على أحسن شروط للصلح .

ثم عاد مصطفى كمال إلى تنظيم حزبه الجديد . فقد كان يعمل منفردا ، وبقية الزعماء ضده . . مثل رحمى وعدنان وكاظم قره بكير ورأفت وعلى فؤاد ونور الدين ، ولم يكن معه غير صاحبيه عصمت وفوزى .

زادت قوة رؤوف وأخذ النواب الكماليون يتركون معسكر زعيمهم واحدا بعد واحد وينضمون إلى خصمه .

وتصادف فى هذه الفترة العصيبة أن سافر خصومه الأقوياء الأربعة رؤوف وكاظم وعلى فؤاد ونور الدين فى رحلة تاركين أنقره.

فانتهز مصطفى كمال الفرصة ودعا الوزراء وقال لهم لابد من أن تثبت للمجلس أن البلاد لا يمكن أن تحكم هكذا . إذ ينبغى أن يحكم الوزراء ، فلا تحول ثرثرة البرلمانيين دون أداء واجبهم . وإنى اريد منكم فى جلسة الغد أن تستقيلوا ثم أطلب من المجلس

أن يؤلف وزارة جديدة . وعلى كل منكم أن يرفض العودة إلى العمل وأن يرفض أى حل يعرض لتفريج الأزمة ، فاذا تعذر على المجلس تأليف وزارة فستعودون ومعكم كل السلطة للعمل .

●●●

وفى اليوم التالى استقال الوزراء ، وظل المجلس يختصم يومين كاملين . وفى وسط هذا الخصام المستمر أوعز الغازى إلى أحد أعوانه أن يقترح على المجلس تدخل مصطفى كمال .

فوافق المجلس ، ولما أرسل يستدعيه اعتذر . فلما ألح اشترط أن يقبل رأيه دون مناقشة .

— ٣ —

الجمهورية والخلافة

وقبل المجلس .. ووقف مصطفى كمال فى النواب خطيبا وقال:

لقد أرسلتم تستدعونى لحل هذا الاشكال الذى تسببتم فيه . والواقع انكم انتم الذين تخلقون المتاعب لوجود خطأ أساسى فى نظام الحكومة . فهذا المجلس يملك بين يديه سلطة التشريع وسلطة التنفيذ ، وبذا يرى كل عضو منكم لنفسه الحق فى أن يدس أنفه فى كل عمل ، ويبدى رأيه فى كل قرار يتخذه الوزراء .

ويستحيل على أى وزير أن يستمر فى منصبه والحالة كما هى الآن . كما يستحيل أن توجد حكومة هذا نظامها . . وليست لدينا الآن حكومة ، ولكن هى الفوضى بعينها . .

لا بد من تغيير النظام . وقد قررت أن تتحول تركيا إلى جمهورية ولها رئيس .

وقد فوجىء المجلس بهذا القرار . وكان قد قبل أن يوافق

على كل رأى يبديه . وإذن فلا سبيل « للكلام » يقــال . فقد نفذ الأمر .

ثم عرض الاقتراح على الأعضــاء لابداء آرائهم ، موقعا من مصطفى كمال وعصمت ـ الذى عاد من لوزان وقدفاز فوزا مبينا ـ ووافق النواب وهم ذاهلون وامتنع اربعون عن إبداء الرأى .

وهكذا أصبح مصطفى كمال رئيسا للجمهورية ورئيسا لأركان حرب الجيش ورئيسا لحزب الشعب .

وكان هذا فى ٢٧ اكتوبر سنة ١٩٢٣ .

■ ■ ■

كتب عبد المجيد خليفة الأستانة إلى مصطفى كمال يطلب زيادة مخصصاته فرد عليه (رئيس الجمهورية) يقول :

« إن منصب الخلافة لا يزيد الآن عن أن يكون أثرا تاريخيا ليس له حق شرعى يسوغ له البقاء . وإنه لمن السخف أن تكتب لواحد من رجال سكرتاريتى فى طلب كهذا » .

لم يكن عبد المجيد رجل تدبير . ولم تــكن له مطامع . . إلا أن المعارضة للنظام الحاضر بدأت تتخذه محورا لحركتها . فالتصق به رؤوف وعــدنان ورأفت وكاظم قره بكير . وكانت خطتهم إعادة السلطة الزمنية الدستورية للخليفة وجعله سلطانا على الأتراك .

وهكذا وضع الرجل في جبهة معركة لم يدر رحاها . بل لم يرغب فيها وانتهز سيد أنقره هذه الفرصة . فأخذت لجان حزب الشعب تبث الدعاية ضد الخلافة نفسها .

وأراد مصطفى كمال أن يستوثق من أن الأرض ثابتة تحت قدميه ولم تكن من غيره شيئا مذكورا . ففي أثناء المناورات السنوية بالقرب من أزمير تحدث مع عصمت وفوزى فى أمر الخلافة ووجوب إلغائها . واتصل بالضباط ، وجس نبضهم وظل طول لياليه يتكلم و يتكلم ، وفجأة قرر أن يعمل .

وفي ٢٣ مارس سنة ١٩٢٤ قدم للمجلس اقتراحا بالغاء الخلافة ثم خطب في النواب خطبة من نار يحتم عليهم فيها وجوب الرضوخ لرأيه لأن الجمهورية في خطر . وفي ساعة واحدة صدر قرار المجلس بالموافقة وصدر الأمر لحاكم الأستانة بأن يخرج عبد المجيد من البلاد . وقبل طلوع فجر اليوم الجديد كان آخر خلفاء آل عثمان وظل الله على الأرض يغادر المياه التركية إلى غير رجعة .

و بعد يومين لحقه كل أمراء عثمان .

وهكذا انتصر الذئب الأغبر مرة أخرى .

عهد جـــــديد

— ١ —

زوابع

فرض مصطفى كمال نفسه على تركيا على الرغم من أنف أعدائه السياسيين ، ولذا امتنع عن الاختلاط بالجماهير ، كما كان يصنع . وحاول أن يقي نفسه من مؤامرات الخصوم . ومع هذا ألقيت عليه قنبلة ، ودس له السم فى طعامه وقد نجا من الحادث الأول ، وقاوم تأثير السم فى الحادث الثانى بانهماكه الشديد فى العمل .

وكان ينتظر أن تهب عليه العاصفة بين حين وآخر . فقد خرجت البلاد من سنوات الصراع هزيلة فقيرة تلبس بدل الثياب أسمالا . واستغل رؤوف وجماعته هذا السخط وأخذوا يذكون ناره مستعينين برجال الدين .

كانوا يقولون للاتراك : ماذا صنعت لكم الحكومة الكمالية ؟ مدت خطوطا حديدية لنقل الجنود . حولت أنقره إلى عاصمة



فى معهد عصمت باشا للبنات يتعلم الفتيات تفصيل الازياء

وأخذت تشيد فيها المباني . زادت مرتبات رجالها . انهمكت طول الوقت في الدعاية ، وفي اصدار القوانين الماحقة لتقاليدنا التي تركها لنا الآباء ذخراً مقدسا .

ماذا جنى الشعب من كل هذا ؟ لا يستطيع الناس أن يعيشوا على الانتصارات القديمة . ولا أن يقتاتوا بالدعايات مهما تنوعت .

الناس في حاجة إلى الخبز والقمح والماشية ، ومشاريع الري والنقود التي تجدد بها القرى . . الخ .

زاد السخط وقويت المعارضة في المجلس . وشجع كل هذا انخفاض سعر العملة التركية . ولم يكن عصمت برجل الاقتصاد البارع حتى يعالج كرئيس وزارة هذه الحالة . وقد طرد اليهود والأرمن وهم رجال المال ورفضت الحكومة أن تتعاون مع جاويد الوزير اليهودي السابق .

وعم الاستياء من عصمت في كل مكان ، وحمي وطيس الجدال بين صحف أنقره وصحف الاستانة ، وأظلم الجو .

ومع هذا ظل مصطفى كمال هادئا ساكنا كأنما البراكين لا توشك أن تثور من حوله، وفجأة حدثت سلسلة من الحوادث أذهلت متتبعيها.

فقد وصفت الصحف الخارجين على مصطفى كمال بأنهم ذيول السلطنة السابقة ولقبوا بالخونة . وفي اليوم التالي كانت المسدسات ترد على المعارضة . فقد أصيب ضابط من أعضاء المجلس الوطني برصاصة أردته قتيلا أمام رئيس المجلس نفسه . وكذلك صرع

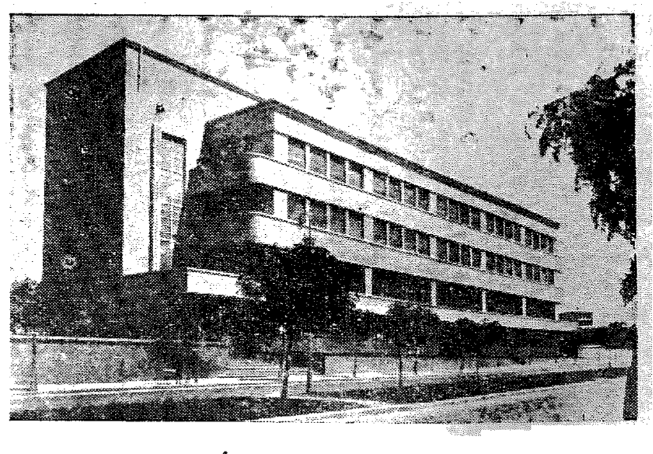
على شكرى لأنه هاجم مصطفى كمال فى لهجة عنيفه . وإزاء هذه الحوادث دبر هجوم على بيت الزعيم . وقتل رئيس حرسه عثمان أغا ونجا هو فى اللحظة الأخيرة من الاغتيال .

وزاد الأمر حرجا ثورة الأكراد ضد حكومة أنقره وتأييدهم للسلطنة الملغاة . وهنا لم يجد مصطفى بدا من أن يتحرك . ترك عزلته ورفقاءه ونزل إلى ميدان العمل فأحست البلاد بأن يدا أقوى من يد الوزراء هى التى تعمل . سير الجند وأصدر الأمر . وكان قاسيا فى قمع الثورة . وفى ديار بكر نصبت المشانق وتعلق على أعوادها ستة وار بعون زعيما من الأكراد كان آخرهم الشيخ سعيد.

●●●

وجاء دور المعارضين فى المجلس الوطنى وفى الجيش . وأحس بعضهم بالخطر المنتظر فغادروا تركيا ومنهم رؤوف ورحمى وعدنان وخالده أديب . ولكن هذا لا يكفى فقد تسممت العقول ولابد من تطهير البلاد ..

أعد مصطفى كمال قانونا يوقف به الدستور ويتولى هو جميع السلطات حتى ينقذ الوطن من خطر فى الخارج هو مؤامرات الدول ومن خطر فى الداخل هو مؤامرات المعارضين . فعارض أكثر أنصاره حتى فتحى رئيس وزرائه فضاق بهم جميعا . وأخرج فتحى وأعاد عصمت إلى الرياسة.



مدرسة عصمت باشا للبنات بأنقره

وإذا كان الزعماء قد أسكتوا ، فلا يزال لهم أتباع . قدموا إلى محاكمات سريعة ، ودارت الطاحون شديدة تقتل وتسجن وتعذب. وهكذا فرض الذئب الأغبر نفسه .

كان مقتنعا بأنه لا يظلم على الرغم من هـذا كله . فقد كانت تركيا فى حسابه هى مصطفى كمال ، وسقوطه أو الحد من نفوذه معناه سقوط تركيا أو إضعافها .

وفى أثناء الاستعداد لزيارة يقوم بها فى أزميرا كتشفت مؤامرة لاغتياله ، وقبض البوليس على كل من اشتبـه فيهم ، وقدمت له قائمة بأسماء المتهمين ليوقع على قرار إعدامهم . وكان من بين القائمة اسم صديقه عارف . زميله القديم ، وقسيمه فى سرائه وضرائه . الذى اشترك معـه فى أسوأ أيام الحرب الأستقلالية ورافقه فى سمسون وأماسيا وأرضروم . وحكم عليـه السلطان بالاعدام ، وتعرض للموت فى سقاريا ، والذى اشـترك معه على مائدة شرابه ولعبه . مر على الاسم بقلمه فلم يتراجع القلم ، ولم يبد عليـه أنه يعرفه . وقع القرار فى هدوء عجيب ، ثم انتقل بقلمه إلى الورقة التالية ليوقعها .

وكان من بين المتهمين جاويد رجـل المال اليهودى المعروف حكم عليه بالاعدام . فاضطرب العالم اليهودى لهذا الحكم .. واتصلت هيآتهم وأفرادهم الأقوياء بحكومات انجلترا وفرنسا وأمريكا

للتدخل . وفزعت جمعيات الماسون ، وكثرت زيارات السفراء وطلبهم العفو عن جاويد

فكان رد مصطفى كمال على هذا كله أن دعا إلى حفلة راقصة أجتمع فيها كل رجال السلك السياسى الأجنبي وظلت الموسيقات تعزف ، ومصطفى كمال يحمس الرجال والنساء للرقص ويكرعون جميعا كؤوس الخمر ، ولم يأذن بفض الحفل إلا قبيل الفجر

وعند انصراف المدعوين روعوا بمشاهدة المشانق منصوبة فى طريقهم وجاويد مع المحكوم عليهم معلق على عود من أعوادها.

نظر مصطفى كمال من النافذة ورأى عن بعد جثة صديقه عارف تهتز مع الهواء فنفخ نفسا من سيجارته ثم أغلق النافذة فى هدوء وذهب إلى الفراش وكانت أضواء النهار قد بدأت تعم كل مكان .

كشر الذئب الأغبر عن أنيابه فبدت قاطعة مخيفة ثم وثب وثبته فوصل إلى ما يريد .. إلى كل ما يريد .

— ٢ —

هدم وبناء

ونظر إلى تركيا وقال :

«ليست هذه هى تركيا التى أعرفها و إنما هذه بلاد فى ثياب السلطنة والخلافة والمدنية الشرقية الاسلامية . .

أما تركيا التى أعرفها فهى التى لا تتعصب لشىء . . الأتراك

الذين دفعتهم الى غاليبولى وسقاريا هم الأتراك الذين أقاموا فى أواسط آسيا ، إنهم كانوا هناك فى مراعيهم وسط خيولهم وخيامهم يطيعون زعيم قبيلتهم طاعة عمياء . و إنهم الآن كما كانوا تغيرت منهم القشور و بقى جوهرهم على فطرته . سأزيل هذه القشور لأصبح فى نظرهم زعيم القبيلة الأكبر .

«وعندما أزيلها وأعود بأبناء وطنى إلى طبيعتهم الأولى سيظهر دعاة التعصب والثورة حاملين ألوية الرجعية فأضرب عليهم بيد من حديد وأمحوهم من عالم الوجود ثم أعود إلى قومى لأصلح من شأنهم بالمنطق حيناً و بالحديد والنار أحياناً ، حتى أمهد نتوءه ، وأوحد أزياءه ، وأهذب عقائده وثقافته ، وعقوله وأقضى على تلك الدولة فى داخل الدولة (يعنى رجال الدين) ثم أقذف به فى تيار الحياة الصاخب ليكافح وحده ، و يثبت للطبيعة أنه جدير بالبقاء »

هذا ملخص البرنامج كما نقله كتاب كمال أتاتورك عن مصطفى كمال.

ونحن بدورنا نلخص ما تم من هدم و بناء على النحو الآتى :

أولا — فى أول سبتمبر سنة ١٩٢٥ أمر مصطفى كمال الجنود ورجال البوليس والبحرية بأن يخلعوا القلبق و يلبسوا القبعة . فتم هـذا بدون معارضة ، ثم وقف أمام الجمـاهير خطيباً وقال : « اللباس الدولى الذى تلبسه الشعوب المتمدنة يناسبنا تماماً . سنلبس الجورب والحذاء والسروال والقميص والصدرية ورباط

الرقبة . وسنلبس الردنجوت والجاكتة والسموكنج والفراك واذا كان فيكم من يعارض فى هذا قلت له فى وجهه إنه غبي وجاهل

ثم تقدم بقانون للمجلس الوطنى بفرض هـذا الزى فمر وعارض المعارضون ، فنصبت المشانق . وما أن علم الشعب أن الزعيم الحاكم مصرّ حتى اندفع نحو ما يريد . وقد ذكر ارمسترنج أن جمعاً من الفلاحين فى أزمير لم يجدوا قبعات يلبسونها ، ولـكنهم علموا أن أرمنياً كان يبيع القبعات وهرب من البـلاد ، فحطموا الباب ، ووجدوا أكثر من مائة قبعـة اقتسموها ولبسوها ولـكنها كانت من قبعات النساء !

ثانياً — ألغى التكايا والأوقاف وقضى على خزعبلات الدراويش وسخافات أصحاب الطرق وشعوذتهم . وأقام فى دورهم و بأموالهم المدارس والمتاحف . وحذف من الدستور النص على أن الإسلام هو دين الدولة تاركا التدين للأفراد

ثالثاً — مزق عن المرأة الحجاب . ودفعها إلى المدرسة ثم إلى السينما ، ثم إلى المراقص ثم إلى المجتمع . وتم هذا بإرادة من حديد فلا معارض وكل من يجرؤ على المعارضة يلقى جزاءه .

رابعا — فى الأسـتانة حيث زارهـا أول مرة عام ١٩٢٨ بعد الحرب قام بدعوته الجـديدة . وهى إبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية . و بدأ هو فكان المعلم الأول للشعب . فى احدى يديه طباشير . وفى الأخرى مسدس فتم له ما أراد .

ثم انقض على اللغـة التركية نفسها فأمر بأن تكون تركية خالصة من الدخيل العربى والفارسى

خامسا — وعمد إلى « تتريك » كل شيء فى تركيـا فلا معاملات ولا كتابات إلا بالتركيـة . وعلى الشركات أن توظف الأتراك فيها بنسبة عالية جدا وإلا تغادر البلاد . وعلى المدارس الدينية الأجنبيـة أن تلغى أزياء التبشير وأن تتحول إلى معاهد خاضعة لرقابة الحكومة الفعلية وكذلك جميع الارساليات العلمية الأجنبية تنهج هذا النهج .

سادسا — وينتهى به طوافه عند الألقاب والأسماء . فيلغى الأولى . ويعدل الثانية فيسمى الرجل باسم أسرته . وتسمى الأسرة باسم شيء يمت إليها فهو أتاتورك أى أبو الأتراك ورئيس وزارته اينونو وهو مكان أول معركة فاز فيها عصمت .

وتغير اسم العاصمة فأصبح استانبول . وكل رسالة تحمل الاسم القديم لا تسلمها مصلحة البريد .

سابعا — ثم يثور على الأمية فيفرض مدة معينة تزول على أثرها ويجند كل متعلم فى البلاد وعلى الأخص لجان حزبه لتعليم الأميين .

كمال أتاتورك

— ١ —

الابن والزوج

ذكرنا فى فصول الكتاب الماضية الشىء الكثير عن حياة حاكم الأتراك ، ولكننا لم نعرض فى شىء من التفصيل إلى كثير من نزعاته الخاصة .

فما يذكر عنه أن أمه كانت السيدة الوحيدة التى أخلص لها طول حياتها. فقد حرص دائما على أن يمنحها حبه، وأن يفوز بعطفها وإن كانت صلته بها لم تحل دون أن يمضى فى أى عمل من أعماله وقد علم عنه أنه عندما كان فى طرابلس وعلم بثورة اليونان عجل بالعودة لكى يرى أمه التى كانت بها . فلما وجد أنها قاست مرارة الأسر أنقذها وزاد حنقه على اليونانيين . وكان فى حربه لهم ينتقم لنفسه كما ينتقم لوطنه ولم ينس أبدا ما حدث لأمه فى سالونيك . وقد حرص بعد أن غادر الأستانة على أن تكون

معه فى منزله المختار بضاحية قريبة من أنقره اسمها شنكايا . وقد تقدم بها العمر ففقدت حاسة البصر . وكانت متعتها الكبرى أن تسمع من الاسرى اليونانيين أخبار سالونيك ، وتلك القرية الألبانية الصغيرة التى ولدت فيها . وقليلاما كانت تتدخل فى السياسة.

وحدث مرة واحدة أن علمت بأمر رؤوف والمعارضين معه ، فثارت واحتدت ووصفتهم بأنهم خنازير وطلبت من ابنها أن يسلخ جلودهم .

وكانت ترجو أن يتزوج ابنها حتى يخلص البيت من متاعب «فكرية» . التى كانت تدير البيت ولا تكف عن إثارة الضوضاء وإدامة الشكوى من الخدم .

وحدث أثناء الحرب الاستقلالية ، بعد أن انتصر مصطفى كمال فى معركة سقاريا أن قدمت إلى المعسكر فتاة ترتدى الزى الأوربى وطلبت مقابلة القائد العام فسمح لها ، فلما رآها دهش من رقتها مع احتشامها وجمال منظرها وحسن حديثها . قالت له : إنها تسمى «لطيفه» وهى ابنة تاجر فى أزمير أرسلها إلى أوربا فتعلمت . وقدمت حديثا إلى البلاد . وإنها لمناسبة وجود القائد العام قرب دارها فى برنوفو تدعوه مع قواده للاقامة عندها حيث يجدون الراحة .

لبى مصطفى كمال الطلب وذهب إلى منزل لطيفة . وبعد إقامة

المأدبة الأولى فضل مصطفى أن يقيم وحده وأعاد قواده إلى معسكرهم. ووجدها فتاة عجيبة وسيمة الطلعة مهذبة الى أبعد حد . متمسكة بالخلق الكريم . كانت تجالسه وتتبسط معه كأخت، وكانت مصرة على أن تكون صلتها به صلة أخت فقط . فلما كاشفها بحبه ذات ليلة ، وأضواء الحرائق التى أشعلت فى منازل الأعداء تضىء الشرفة قالت له: دونك والزواج ، فغضب وخرج ولم يعد .

ومضت شهور . وبينما كانت لطيفة تغادر فراشها فى الصباح الباكر إذا بها تسمع جلبة شديدة ، وإذا بمصطفى كمال يصعد السلالم ركضا ويقول لها صائحا :

— هيا . . هيا . اسرعى فسنتزوج فورا .

فلما أرادت أن تقول شيئا قطع عليها الحديث بضجيجه وصياحه وفى لحظات كان فى الطريق يترصد لأول شيخ من هؤلاء الرجال ذوى اللحى ، فما أن مر حتى اختطفه فى سيارته اختطافا ، والرجل يكاد يجن رعبا .

وبعد قليل كانت لطيفة زوجة لمصطفى كمال . وكانت السيارة تنهب بهما الطريق الى أنقره . ووجد بيته الريفى سيدته الجديدة بعد أن رحلت عنه « فكريه » للاستشفاء فى أوربا .

وبعد أن أقامت معه ومع أمه سنتين أى الى عام ١٩٢٥ شعرت السيدة زبيدة بوطأة الجو وعدم ملاءمته لصحتها ، فانتقلت معها

« لطيفة » إلى أزمير ، ولكن المرض لم يمهل الأم فماتت .

وهكذا اختفت من حياة الزعيم السيدة الوحيدة التي كان يصغي لكل ما تقول ويحتمل منها كل نقد ويحبها من كل نفسه ويدلي لها بكل سره . لم تكن تعني بنجاحه ولكن كانت تعني بمتاعبه. كانت تحبه ، ففقدها .

أما «لطيفة» فقد عاشت الشهور الأولى في نعيم. جن بها زوجها جنونا، ووقفت بجانبه كأبسل ماتكون الزوجة، وأرحم ماتكون المرأة.

ولكن مع مضى الزمن بدأا يختلفان ، فلم تكن تعجبها بعض آرائه السياسية ولا خططه. وكانت تميل إلى المعارضة أحيانا، وذاعت معارضتها له بين الناس وأحرج هو من تدخلها في عمله .

وفجأة أصدر قرارا بطلاقها منه ، ووقعه ، وأرسل صورا منه للمجلس الوطني والسفارات والصحف، وطلب منها أن تغادر شنكايا فورا ، ثم عاد إلى حياته الأولى يحياها كما يريد . وقال :

« إني أحب دائما أن أعيش وحيدا . أريد أن أكون حرا وأحيا الحياة التي أريدها » .

— ٢ —

الحاكم والمحكوم

في سنة ١٩٣٠ اشتد الضغط على وزارة عصمت ، وأرسل

فتحى رئيس الوزارة السابق ، وسفير تركيا فى باريس إذ ذاك [وفى لندن فيما بعد] تقريرا مسهبا لأتاتورك ينتقد فيه بشدة حكومة عصمت ، ويقترح أن تشجع العناصر المختلفة فى المجلس ، وطنى وغيره لكى تنتقد الحكومة وترشدها .

وأراد الزعيم أن يجرى هذه التجربة فأرسل إلى فتحى ليحضر وبحث معه مشروعه ثم استدعى عصمت وتدارس الجميع فكرة إنشاء حزب معارض ، يتولى فتحى رياسته ، لكى يوجد نوعا من التوازن السياسى فى البلاد ، ولم يستأ عصمت من الفكرة .

وشرع فتحى فى العمل فذهب مع بعض النواب إلى أزمير ليلقى خطبة سياسية ، ولكن الجمهور قابله بالاستنكار ، فهذا شيء لم يتعوده ، ويخشى إن هو سايره أن يبطش به الزعيم ، ولكن كم كانت الدهشة عظيمة حين ظهر أن مصطفى كمال لا يعارض فى وجود المعارضة .

أنشأ فتحى حزبا و بدأ يعمل فى المجلس . وكانت الخطة المتفق عليها أن يلقى على النواب خطبة ينتقد فيها عصمت ، فيرد عليه رئيس الوزارة وحضرت الخطب وراجعها مصطفى كمال ، وعقدت الجلسة ثم بدأ التمثيل . وما أن انتهى الزعيمان فتحى وعصمت حتى ثار النواب واشتدت الخصومة وتعذر ضبط النظام ، كل هذا ، والذئب الأغبر جالس يراقب .

ولم يكن هناك بد بعد أن أخرجت المسدسات لتتولى المناقشة بدل الألسنة من رفع الجلسة . ولكن استؤنفت الخصومات فى القهاوى والطرقات ، وانتشر نبأ إباحة المعارضة فى تركيا بما ذكر فى الصحف .

و إذا بتركيا كلها تختلف وتختصم .

ولم يجد مصطفى كمال بدا من أن يهدىء الحال ، والطريقة مفهومة ، فبضربات سريعات هنا وهناك ، فطنت تركيا إلى أن الزعيم الجبار يريد . فهرب المعارضون ، وعلى رأسهم فتحى ، وسكنت البلاد من جديد .

وقرر كمال أتاتورك الانتظار خمسة عشر عاما ثم الشروع مرة أخرى فى تجربة جديدة كهذه . ولكن القدر لم يمهله لإتمام التجربة إذ تولى عن الحياة بعدها بتسع سنوات

تاريخ الأتراك فى سطور

السنة	الشهر	الحادث
١٨٧٦	—	حكم عبد الحميد الثانى
١٨٨١	—	ميلاد مصطفى كمال فى سالونيك
١٩٠٣	—	التحاق مصطفى كمال بالمدرسة الحربية
١٩٠٦	—	بدء حركة جمعية الاتحاد والترقى فى سالونيك
١٩٠٨	—	التحاق مصطفى كمال بالجيش الثالث
	—	ثورة جمعية الاتحاد والترقى
١٩٠٩	—	عزيز المصرى يسقط عبد الحميد
١٩١١	أكتوبر	بدء الحرب فى طرابلس بين ايطاليا وتركيا
١٩١٥	٨ أغسطس	مصطفى كمال يتولى القيادة فى جبهة انافرطه
١٩١٢	—	نقل مصطفى كمال إلى القوقاز واستقالته
١٩١٧	—	سفر مصطفى كمال مع وحيد الدين إلى المانيا
١٩١٨	—	تعيين مصطفى كمال فى الحملة السورية
١٩١٩	١٥ مايو	احتلال اليونانيين لازمير
	١٣ سبتمبر	مؤتمر سيواس

السنة	الشهر	الحادث
١٩٢٠	٢٨ يناير	اجتماع البرلمان فى الاستانة
	١٦ مارس	احتلال الحلفاء للاستانة
	٢٣ ابريل	اجتماع المجلس الوطنى الكبير فى أنقره
	الخريف	القضاء على الأرمن
١٩٢١	١١ يناير	معركة إينونو
	١٠ يوليو	بدء الهجوم اليونانى الكبير
	١٢ أغسطس	معركة سقاريا
١٩٢٢	٢٦ أغسطس	الهزيمة الأخيرة لليونانيين
	١ نوفمبر	خلع السلطان
١٩٢٣	٢٤ يوليو	معاهدة لوزان
	١٣ أكتوبر	نقل العاصمة إلى أنقره
	٢٨ أكتوبر	اعلان الجمهورية فى تركيا
١٩٢٤	٣ مارس	الغاء الخلافة
١٩٢٦	يوليو	مؤامرة ازمير لاغتيال مصطفى كمال
	الصيف	ابدال الطربوش بالقبعة
١٩٢٨	٣ نوفمبر	ابدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية

كتاب الشهر	دار الثقافة العامة شارع محمد على ١٦٠ بالقاهرة	كتاب الشهر
٥ ـ العدد الأولى	المحرر المسئول: محمد صبيح	مجلة نداء الحرية

١ ـ ١ ـ ١٩٤٥ ت ٥٤٥٩٩ المجموعة الثانية

ما صـــدر من كتب الشهر

قادة الإسلام

في ٢٠ عدداً

١ — القرآن [٢٠٠ مليما]
٢ — محمد « ٤ أجزاء »
٣ — أبو بكر
٤ — عمر
٥ — على في جزئين
٦ — خالد
٧ — عمرو بن العاص
٨ — معاوية
٩ — عمر بن عبد العزيز
١٠ — أبو مسلم الخراساني
١١ — المنصور
١٢ — الرشيد
١٣ — المأمون
١٤ — صلاح الدين الأيوبي

قادة الشرق

١ ـ الملك فؤاد
٢ — الملك ابن السعود
٣ — شاه إيران
٤ — محمد عبده

قادة الغرب

١ — تشرشل
٢ — ستالين
٣ — أتاتورك
٤ — ديفاليرا
٥ — هتلر
٦ — الميكادو
٧ — موسوليني
٨ ـ شيانج كاى شيك

ثمن الكتاب ٦٠ مليما

ملتزم الطبع والنشر أصحاب
دار إحياء الكتب العربية
عيسى البابي الحلبي وشركاه